الكاتب ٩٨
للثقافة الانسانية والتقدم
العدد
الثامن والتسعون
حزيران ١٩٨٨

Birzeit

- مخطات ، مخطات ، مخطات
- المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط ومواقف الاطراف المختلفة منه.
- تجربة الحركة العمالية والنقابية في الشطر الجنوبي من اليمن قبل الاستقلال.
- ملف الابداع الادبي والنقد.
- الايقاع الشعري.
- الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة.

التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي في الضفة الغربية وقطاع غزة

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

المكتبة
13-06-1988
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

98

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٢٥	٤٠	٥٠
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (٩٨) حزيران ١٩٨٨ - السنة التاسعة No(98) June 1988

Digitized by Birzeit University Library

المحتويات

كلمة العدد:

٤	عالم آخر .. ولكن	أسعد الاسعد

سياسة:

٨	قائمة بأسماء شهداء الشهر السادس للانتفاضة	الكاتب
١٠	محطات * محطات * محطات	أبو وديدة
٢٦	المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط ومواقف الاطراف المختلفة منه	منير سلام

دراسات:

٣٢	التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي في الضفة الغربية وقطاع غزة	د.سمير عبدالله
٥٤	تجربة الحركة العمالية والنقابية في الشطر الجنوبي من اليمن قبل الاستقلال	د.زياد ابو عمرو

نقد أدبي:

٦٣	ملف الابداع الادبي	محمد عيتاني
٧٤	الايقاع الشعري	عبد الحميد طقش

مسرح:

٧٠	الحركة المسرحية في المناطق المحتلة	جميل السلحوت

Digitized by Birzeit University Library

الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير.

قصة:

٧,	جدار الصبر	مصطفى مرار
٨٢	ابو درويش يقتحم مقهى ابي العز	وليام يعقوب فوسكرجيان

شعر:

٨٤	قلب الشهيد	محمد شريم
٨٥	شكوى	كلاراسيليا
٨٦	صورة من مفكرة الشارع والقلب	موسى حداد
٨٨	الموت على الاسفلت	عبد الرحمن الابنودي
٩٠	ماذا تقول شهرزاد لي وماذا اقول لشهرزاد	رعد مشتت
٩٤	أصداء ثقافية	

Digitized by Birzeit University Library

كلمة العدد

عـام آخر ... ولكـن

أسعد الاسعد

ما من أحد اليوم ، يملك الحد الادنى من الصدق والموضوعية ، قادر على تجاهل الوقائع الجديدة التي خلقتها الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في المناطق المحتلة ، على مدار ستة اشهر خلت ، او التغاضي عن الحقائق التي هدفت الانتفاضة اساسا الى توكيدها ، والتذكير باستحالة القفز عليها ، وعلى رأس تلك الحقائق عدم القبول باستمرار الاحتلال ، وتمسك الشعب الفلسطيني بحقه الاساسي والشرعي في تقرير مصيره.

ولعل ابرز الوقائع التي خلقتها الانتفاضة ، دفعها القضية الوطنية للشعب الفلسطيني ، الى المكانة اللائقة بها ، في سلم اهتمامات العالم ، ووضعها في مركز الصدارة ، في اللقاءات والمؤتمرات الدولية بالاضافة الى التحول الكبير ، الذي احدثته في مواقف كثير من دول العالم ، والذي انعكس في تعاملها مع القضية الفلسطينية ، مؤخرا ، واسس حل هذه القضية.

ريتشارد ميرفي مساعد وزير الخارجية الامريكية ، قال في تصريح له لصحيفة الشرق الاوسط السعودية بتاريخ ١٩٨٨/٥/٢٤، "ان الانتفاضة احدثت تغييرا في الوضع ، وان الوضع يضغط علينا جميعا" وهو نفسه الذي قال قبل ذلك بأقل من عشرة أشهر، ان القضية الفلسطينية ، هي الان في الثلاجة ، معبّرا في حينه ، عن وهم سعت الادارة الامريكية واطراف التسوية على طريقة "الكاوبوي" ، الى تكريسه وتمريره ، وفرضه على الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

Digitized by Birzeit University Library

ولا شك ان السنة الماضية ، شهدت تصعيدا ملحوظا في وتائر التحرك المعادي اساسا لحق الشعب الفلسطيني ، وقضيته الوطنية ، حتى بدت اطراف هذا التحرك ، في عجلة من امرها ، محاولة كسب الوقت ، والتعجيل في ترتيب الاوضاع ، خدمة لخططها.

ولعل "الهدوء النسبي" ، الذي خيم على المناطق المحتلة في الاشهر الستة من السنة الواحدة والعشرين للاحتلال ، دفع هذه الاطراف الى المضي في ترتيب الاجواء ، بشكل كاد ان يكون علنيا في بعض الاحيان ، ليس فقط فيما يتعلق بادخال الاردن تدريجيا الى المناطق المحتلة ، وزيادة تدخلها في الحياة العامة للمواطنين بشكل كبير ، بل وفي السعي الى تجاهل منظمة التحرير الفلسطينية ، بل وملاحقتها ، سواء في الهجوم على قواعدها في لبنان او في تونس ، او السعي الى تجريدها من المكاسب التي حققتها على الساحة الدولية . والتي اكسبتها شرعية واعترافا دوليا واسعا .

وقد كانت اخر هذه المحاولات ، ما جرى في مؤتمر القمة العربي ، الذي انعقد في عمان قبيل اندلاع الانتفاضة ، والذي لم يكن نصيب القضية الفلسطينية منه افضل من نصيبها من مؤتمر القمة الاسلامية الذي سبق انعقاده في الكويت .

على الصعيد العربي ، كانت انظمة التواطؤ ، تهيء الاجواء لعودة النظام المصري الى الجامعة العربية ، ليس فقط باصدار صك براءة للنظام ونهجه ، وانما باصدار صك يدين الدول العربية جميعا ، ويزكّي نهج كامب ديفيد ، وهو الوضع الذي هيّأت له بعض الانظمة العربية الاجواء قبل انعقاد المؤتمر المذكور ، فيما شكّل الخطوة الاولى باتجاه عودة الدول العربية الى مصر حقّاً ، وليس العكس ، وهذا تماما ، ما يجري العمل على استكماله وتكريسه في المؤتمر المزمع عقده اوائل شهر حزيران الجاري ، أملاً في اعطاء النظام المصري ، دورا يجعله اكثر قدرة على التحرك ، لمساعدة الادارة الاميركية في مساعيها الحثيثة ، لفرض حل يساعد الانظمة العربية المرتبطة بها ، على تجاوز المخاطر التي تبدّت إثر اندلاع الانتفاضة في المناطق المحتلة ، وغدت عدواها تهدد بالانتقال الى هذه الدول ، فتعصف بعروشهم المستظلة بحماية الامبريالية الامريكية ، لقاء كتم انفاس الشعوب العربية ، واستباحة مقدراتها.

Digitized by Birzeit University Library

واذا كانت الاطراف ذات الصلة ، تسعى الى خلق اجواء تمهد الطريق امام مواصلة مخططها، فان تصعيد الملك حسين لهجومه على الفلسطينيين ، يأتي ضمن هذا السياق ، وحلقة جديدة في سلسلة الضغوطات على الشعب الفلسطيني وقيادته ، للتسليم بدور النظام الاردني ، في المشاركة في تقرير مصير الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية ، فهو لم يكتف بانهاء خدمات وقطع رواتب الموظفين الذين انهت سلطات الاحتلال خدماتهم ، بل يهدد بقطع رواتب الموظفين كافة ، بالاضافة الى التلويح بسحب جوازات السفر ، ومنع ادخال خضروات الضفة الغربية وقطاع غزة الى الاردن ، معلنا نفض يده من القضية الفلسطينية .

وفجأة يتذكر النظام الاردني ، ان له ارضا في وادي عربة ، تحتلها اسرائيل ، كان يتحاشى الحديث عنها او التطرق اليها طوال الوقت ، مشيرا الى قَصْر مطالبيه ، على تلك الارض الاردنية ، ولا نظن احدا يملك حق الاعتراض على مطالبة الاردن بارض له تحتلها اسرائيل ، او أيّة دولة اخرى ، لكن من حقنا ان نتساءل عن سر ذلك الصمت الطويل عن المطالبة بتلك الارض ، من جهة ، ونسجل اعتراضنا من جهة اخرى ، على تحويل قضيتنا الوطنية ، الى ما يشبه قضية الارض الاردنية المحتلة في وادي عربة ، فتلك قضية حدود قد يصار الى تعديلها ، اما الضفة الغربية وقطاع غزة ، فشيء اخر مختلف ، ذلك ان للشعب الفلسطيني قضية وطنية ، وحقوق مشروعة ، لا يمكن لاحد يسعى الى سلام عادل وحقيقي ، ان يعدّل في هذه الحقوق ، او ينتقص منها ، وذلك تحديدا ، ما يجب على النظام الاردني ان يعيه ، وينطلق منه في تعامله مع الشعب الفلسطيني وقضيته ، اذا كان حقا يسعى الى مد يد العون الى الشعب الفلسطيني ، ولا يمكن للاجراءات الاردنية الاخيرة ، والتهديدات التي اطلقتها الحكومة الاردنية ولا تزال،ان تعني ذلك ، في وقت يدرك النظام الاردني تماما ، ان الدولة الفلسطينية العتيدة ، سوف تربطها علاقات جدّ متميزة مع الاردن ، لاعتبارات كثيرة واضحة ، ولا يمكن أن تخفى على احد.

من جانب اخر ، لا تزال الادارة الامريكية ، تراهن على امكانية الخروج من الواقع الذي فرضته الانتفاضة ، باقل الخسائر ، سواء لها ،

Digitized by Birzeit University Library

او لاصدقائها وشركائها في المنطقة ، وهي تختلف مع حليفاتها في كثير من دول اوروبا الغربية ، والتي تبدي تفهما كبيرا ومختلفا ، للمطالب الوطنية للشعب الفلسطيني ، تمثل في سلسلة التصريحات والمواقف المعلنة لحكومات وشعوب هذه الدول ، كان اكثر وضوحا في الاشهر الاخيرة ، الامر الذي يجب ان يدفع المجموعة الاوروبية ، الى لعب دور اكثر ايجابية ، في التوصل الى حل عادل وسلام مقيم ، فهي الاكثر تأثرا باستمرار الوضع على ما هو عليه في المنطقة ، لاعتبارات كثيرة وحيوية.

على صعيد اخر ، فان التصريحات التي يطلقها زعماء اسرائيليون بين الحين والاخر ، رغم انها تشكل تبدلا ايجابيا في الموقف من قضية الشعب الفلسطيني الوطنية فرضته الانتفاضة ، الا ان هذه المواقف يبدو انها تراوح مكانها ، ولا يملك اصحابها ، امكانية التقدم بها ، والدفع باتجاه تحقيقها ، ذلك ان المواقف المعلنة لاقطاب الحكومة الاسرائيلية لا تزال تُجمع على التمسك بعدم التعامل مع القضية الفلسطينية من خلال اصحابها ، وما زالوا يتوجهون الى العناوين غير الصحيحة ، يشجّعهم على ذلك ، مواقف الانظمة العربية المرتبطة بالولايات المتحدة ، وسياستها المعادية للشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

اما الشعب الفلسطيني ، فهو لا يملك غير التمسك بحقه في الحياة ، وان كان هناك من لا يزال يعتقد انه قادر على حرمانه من هذا الحق ، فان اقل ما يقال ، ان الانتفاضة التي تتواصل منذ ستة اشهر ، والتضحيات الكبيرة التي قدمها الشعب الفلسطيني ، يجب ان تشكل دليلا ساطعا لاستحالة الاستمرار في انكار هذا الحق ، او تجاهله ، والتهرب من مواجهة تلك الحقيقة ، لن يؤدي الا الى تفاقم الوضع ، والابقاء على التوتر.

يبقى التساؤل المطروح ، على ضوء هذا الواقع ، الى اي مدى يمكن للاطراف المعنية هذه ، المضي في البحث عن صيغ بعيدة عن الواقع؟ والى اي مدى يمكن فرض حل لا يفي بالشروط والمقومات الاساسية للسلام العادل؟

واخيرا متى يدرك هؤلاء ، ان العام الواحد والعشرين للاحتلال ، مختلف جدا عن الاعوام التي سبقته؟! ويقينا ان الستة اشهر الاخيرة ، اسمعت كل من به صمم.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر السادس للانتفاضة

الاحد ١/٥/١٩٨٨

- نعيم يوسف محمود طه (٢٠ عاما) قرية فقوعة / جنين. اصيب برصاصة في صدره.
- نضال عبد اللطيف عبد الحق ابو شومر (١٧ عاما) قرية بيت وزن / نابلس. استشهد بعد ان اصيب بصعقة كهربائية خلال محاولته رفع العلم الفلسطيني فوق عمود كهرباء في القرية.

الاثنين ٢/٥/١٩٨٨

- حسن عبده البوهي (٩٠ عاما) مخيم عين بيت الماء / نابلس.

الثلاثاء ٣/٥/١٩٨٨

- عمر عبد الحميد مناصرة (١٨ عاما) بني نعيم/ الخليل. اصيب برصاصة في رأسه.
- نضال سالم بلوط (١٨ عاما) بني نعيم / الخليل . اصيب برصاصة في رأسه.
- خالد رفقي عبد القادر عميرة (٢٣ عاما) مخيم بلاطة / نابلس.

الاربعاء ٤/٥/١٩٨٨

- جمال محمود المدهون (٢٠ عاما) مخيم جباليا / قطاع غزة . اصيب بالرصاص في عنقه.
- رزق حسين صباح (١٧ عاما) مخيم جباليا / قطاع غزة . اصيب بالرصاص في قلبه.
- خالد حسن النجار (٥١ عاما) مخيم الشاطيء / قطاع غزة . اختناق بالغاز.

الخميس ٥/٥/١٩٨٨

- جودة عبدالله عواد "ابو شطريه"(٢٨ عاما) قرية ترمسعيا/ رام الله. استشهد برصاص المستوطنين عندما كان يرعى قطيع اغنام في ارض القرية القريبة من مستوطنة شيلو.

الاثنين ٩/٥/١٩٨٨

- ابراهيم محمد عواد (٣٤ عاما) مخيم الدهيشة / بيت لحم. استشهد نتيجة لاصابته برصاصة في رأسه. وهو اب لسبعة اطفال وزوجته حامل .

الاربعاء ١١/٥/١٩٨٨

- عبد الكريم رجا سليمان عطية (٢١ عاما) قرية التعامرة /بيت لحم.كان الشاب قد اصيب بعيار ناري في صدره في يوم الارض ٣/٣٠

الجمعة ١٣/٥/١٩٨٨

- مصلح زيدان محمود زايد (٣٠ عاما) قباطية / جنين . اطلق الجنود النار عليه خلال حملة

Digitized by Birzeit University Library

تفتيش في البلدة بدعوى محاولته الهرب.

الاحد ١٥/٥/١٩٨٨

- ابراهيم مسلم ابو عيشة (٦٥ عاما) الخليل. متأثرا بجروح اصيب بها جراء الاعتداء عليه.
- حسني محمد اسعد المحسيري (٤٠ عاما) - بيت لحم - اختطف من امام منزله ووجدت جثته في مزرعة دواجن في قرية بيت محسير - قرب باب الواد.

الاثنين ١٦/٥/١٩٨٨

- علاء الدين صالح (١٥ عاما) عزموط/ نابلس. اصيب برصاصة في صدره ونزف حتى الموت.
- جهاد العباسي (١٧ عاما) مخيم جباليا . اصيب برصاصة قاتلة.

الاربعاء ١٨/٥/١٩٨٨

- مجدي محمود يوسف هلال (١٦ عاما) قرية عبوين / رام الله . اصيب برصاصة في صدره وفارق الحياة في مستشفى رام الله.

السبت ٢١/٥/١٩٨٨

- فاطمة عبد الرحمن (٢٦ عاما) قرية عبوين / رام الله. استشهدت متأثرة برصاصة اصيبت بها في الرأس يوم الاربعاء ١٨/٥.
- كوثر خالد محمد مرعي (٢٣ عاما) مخيم طولكرم . متأثرة برصاصة اصيبت بها في الصدر في اليوم نفسه.

الاحد ٢٢/٥/١٩٨٨

- محمد صالح قعدان (٣٨ عاما) قرية دير الغصون / طولكرم.
- شمسة خليل قعدان (٦٥ عاما) قرية دير الغصون / طولكرم.

(استشهدا في ظروف غامضة ، حيث احرقت سيارة كانا يستقلانها ، فيما افادت العائلة انهما قتلا بالرصاص قبل احراقهما).

الثلاثاء ٢٣/٥/١٩٨٨

- سعدي محمد اللولو (٥٢ عاما) مخيم البريج/ قطاع غزة . اصيب بعدة عيارات نارية اثناء تفتيش منزله ، وقد تم نقله الى مستشفى الاهلي في غزة حيث فارق الحياة متأثرا بجراحه.

الجمعة ٢٧/٥/١٩٨٨

- اياد عبدالله ابراهيم شناعة (١٦ عاما) قلقيلية . متأثرا بجراحه التي كان قد اصيب بها في ٢/٧.
- امين رجب ابو رداحة (١٤ عاما) مخيم الجلزون.
- دينا منير السوافيري (٣ أعوام) غزة - متأثرة بالغاز.

Digitized by Birzeit University Library

الاثنين ٣٠/٥/١٩٨٨

- انعام رفيق حمدان (٢٧ عاما) قرية جبع/جنين . اصيبت برصاصة في القلب.

وبذلك يرتفع عدد شهداء الانتفاضة الى ٢٥١ شهيدا.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة ، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء.

الافتراء لن ينفعهم

■كانت وكالة الصحافة الفرنسية قد نشرت في الاسبوع الماضي تقريرا عن الحزب الشيوعي الفلسطيني نسبت فيه الى «مسؤول» شيوعي اقوالا نفاها ناطق باسم الحزب في حينه، واعتبرها ملفقة ومدسوسة ولا تعبر عن وجهة نظره.

وقد نشرت هذه الاقوال في صحيفة «النهار» المقدسية مثلما نشر التكذيب في اليوم التالي. لكن نشرة باسم «الصنارة» اختارت نسب هذه التصريحات الي في محاولة للاساءة لي والتحريض علي.

بعد ذلك التقطت صحيفة «معاريف» اتهام «الصنارة» ورددته في خبر خاص بها نشر يوم امس.

اود ان اؤكد ثانية، بعد تاكيدي لمراسل «الصنارة» قبل نشره الخبر، ان لا علاقة لي اطلاقا بالتصريحات المنسوبة الى ذلك «المسؤول» والتي كذبها الحزب الشيوعي. واعتبر الطريقة التي استخدمها مراسل النشرة المذكورة غير اخلاقية. اذ عمد الى سؤال كاتب التقرير حول تصريح اخر منفصل منسوب لي فأكده مراسل وكالة الصحافة الفرنسية. فعاد مراسل «الصنارة» داود كتاب ليستخدم التاكيد المذكور عن تصريح اخر مختلف من اجل ان ينسب لي ما جاء في تقرير وكالة الصحافة الفرنسية على لسان «مسؤول» شيوعي.

كما اود التأكيد على ان التصريح المنسوب لي في تقرير اخر لوكالة الصحافة الفرنسية ليس صحيحا. وأنني لم اتحدث معه الا بصفة صحفي ووعد صاحب التقرير في حالة اقتباسه اي شيء من الحديث ان يطلعني على النص قبل نشره وهو ما لم يفعله وهذا يؤكد سوء نيته وعزمه على التزييف المتعمد.

انني ارى في اصرار «الصنارة» و «معاريف» على نسب تصريحات لي لم اقلها، وحتى وكالة الصحافة الفرنسية تنفي علاقتي بها، استمرارا لمحاولات الدس والوقيعة بين ابناء الوطن الواحد، وخدمة لاعدائهم!

● بشير البرغوثي ●

Digitized by Birzeit University Library

محطات

* محطات

* محطات

أبو وديدة

مقدمة

محطات هذا العدد هي المجموعة الثالثة في هذه السلسلة. ولان موضوعات المجموعات الثلاث مترابطة فقد وقع فيما اظن ، خطأ فني في ترقيم محطاتها. في كل مرة جرى الترقيم محطة ١ ، محطة ٢ ...الخ ، بدل الاستمرار في الترقيم المتصاعد . الامر الذي قد يوحي للقارىء بعدم وجود علاقة بينها. أمل ان يتجاوز القاريء هذا الخطأ الفني ليربط المحطات معا على طريق الوصول للهدف الذي توخيناه معا من كتابة هذه السلسلة.

محطة (١)

القيادة والخطأ المصيري

قام الرئيس الاسرائيلي "حاييم هيرتسوغ" ، وفي كلمته بمناسبة الاحتفال بالعيد ال ٤٠ لقيام اسرائيل ، للتذكير بما اسماه بالخطأ المصيري الذي ارتكبته القيادة الفلسطينية في العام ٤٨ برفضها قرار التقسيم وقرارها دخول الحرب آنذاك ، وما آلت اليه من نتائج. وقال الرئيس ايضا ان الشعب الفلسطيني بانتفاضته يرتكب خطأ مصيريا اخر. وانه لذلك بحاجة لانتفاضة "من نوع اخ" انتفاضة" تخلصهم من القيادة المتطرفة العمياء والمنحطة" انتفاضة "تخلصهم من الغطرسة الكاذبة ومن العنف ومن اجل اختيار طريق السلام".

وكان شمعون بيرس وزير الخارجية الاسرائيلي وفي وقت سابق قد قال:"لو قبل الفلسطينيون بقرار الامم المتحدة الذي صدر عام ١٩٤٧ - المقصود قرار التقسيم - لكانت لهم دولة بدل الحروب. لكانت لليهود دولة بلا حروب".

Digitized by Birzeit University Library

لست هنا بصدد مناقشة السيد هيرتصوغ حول رأيه في تقرير حاجة الشعب الفلسطيني لنوع الانتفاضة . فالسيد هيرتصوغ على معرفة في التاريخ اوسع مني بكثير بلا شك. خصوصا ما يتعلق بسلوك قادة بلدان مثل بريطانيا وفرنسا تجاه شعوب المستعمرات التي كانت تحكمها . وهو لا شك يتذكر ان جملة من المندوبين الساميين حاولوا لعب دور ولي الامر الراشد لشعوب وصفوها بانها ما زالت في مرحلة الوعي الطفولي وهكذا حاولوا نيابة عنها رسم طريق مستقبلها السياسي والاقتصادي والاجتماعي. لكن الشعوب رفضت هذه الوصاية وتخلصت منها بعد ذلك وشقت طريقها الخاص بها ، عبر العثرات ، عبر الصعوبات ، لكن الامر الرئيسي ظل في انه طريقها الخاص الذي سلكته باختيارها الحر.

كذلك لست بصدد مناقشة الاوصاف التي الصقها السيد هيرتصوغ بالقيادة الفلسطينية وفيما اذا كان يجوز او لا يجوز ان ترد على لسانه.

ما يعنيني هو مناقشة مسألة الخطأ المصيري والنتائج المترتبة عليه . ان جملة من الساسة الاسرائيليين وبمن في ذلك علماء اجلاء ومفكرون حصيفون ومتنورون يعتبرون نتائج حرب عام ٤٨ عادلة بداهة . وانها من المسلمات غير القابلة للمناقشة ويجري تبسيط المسألة على النحو التالي. خاضوا الحرب وخسروا واذن فلا بد من التسليم بالخسارة وقبول الامر الواقع والكف عن محاولات تصحيح ما وقع من نتائج وكأن المرء يجلس على طاولة قمار.

ومنذ اندلاع الانتفاضة صدرت تصريحات مماثلة عن مختلف المسؤولين ، سياسيين وعسكريين ، تتعلق بوضع الضفة والقطاع.

بيرس قال في الكنيست انه في الفترة ما بين عامي ٤٨ و ٦٧ لم يضم العرب الضفة الغربية لهم ولم يجعلوا من القدس عاصمة لهم. وكثيرا ما ردد اسحق شامير ان ارض الضفة الغربية وغزة لم تشكل جزءا من ارض دولة ذات سيادة ولم تكن للقدس صفة رسمية . وانهم نصحوا الملك حسين بعدم دخول حرب عام ٦٧ وانه تصرف خلافا للنصيحة وكان ما كان . وهكذا فان ارض الضفة والقطاع هي غنيمة حرب عادلة من وجهة نظرهم ويتوجب ان ينطبق على القدس ونابلس والخليل ما سبق تطبيقه على يافا والناصرة وغيرهما.

اسحق شامير وغيره يكثرون من الحملات في خطبهم وتصريحاتهم على القيادة الفلسطينية في العام ٤٨ واقوالهم يرددها كذلك ، بسذاجة مثيرة ، علماء ورجال فكر وساسة ، ومن بين ما يرددون ان تلك القيادة جلبت على الشعب الفلسطيني الكوارث وان القيادة الحالية تجلب عليه الكوارث ايضا وستفعل ذلك في المستقبل.

ان اي شخص، لديه شيء من التفكير السليم ، لا بد ان يأخذه العجب وهو يسمع مثل هذه الاقوال. وان يتساءل هل حقا ان هؤلاء الساسة والمفكرين يعيشون في عصرنا ، ويفهمون قوانينه وشرائعه ، ام هم يعيشون خارجه وفي القرون الماضية؟! وقد يتساءل ايضا : اي هدف يتوخونه وهم يسوقون مثل هذه المبررات ، بل الاحكام التاريخية والقانونية الساذجة ؟!

وقبل الاجابة على السؤال الاخير نقول: لم يعرف التاريخ الحديث ، وعلى الاقل منذ نشأة عصبة الامم المتحدة في اعقاب الحرب العالميةالاولى ، ونشوء المجتمع الدولي الحديث بشرائعه وقوانين وقواعد العلاقات بين الامم والشعوب كما هي مدونة ومثبتة في مواثيق الامم المتحدة وهيئاتها المختلفة ، لم يعرف حالات حرم فيها شعب من حقه في تقرير المصير وحرم من العيش على ارض وطنه ، ورفض الاعتراف بوجوده وبأن له وطنا لان قيادته ارتكبت خطأ مصيريا مهما

Digitized by Birzeit University Library

بلغت فداحته.

حقائق تاريخية

فلا شك يعرف الساسة الاسرائيليون وكذلك المفكرون والعلماء وغيرهم ، حتى رجل الشارع البسيط ، انه قبل ظهورالمسيحية ، وربما بعدها في حالات قليلة ، كانت الامم القوية تغتنم لحظات ضعف عند جيرانها ، انفعالات اخطاء لقيادتها ، او بسبب اطماع القوة ونزعات السيطرة ، وتشن حربا ، او موجة غزو ، تزيح فيها هذا الشعب من مكانه وتجري تغييرات واسعة على الوضع ، بما في ذلك الوضع الديموغرافي. لكن هذا الوضع انتهى كلية منذ نشأة المجتمع الدولي المعاصر بهيئاته المختلفة ، الامم المتحدة وهيئات اخرى. وما قاله تيدي كوليك في احتفال بمناسبة ٢١ سنة على ضم القدس العربية الى ولايته من ان التاريخ شهد حالات كثيرة من تغيير الاوضاع الجغرافية والسياسية وضم مساحات وسكان بلدان الى اخرى ليس صحيحا وان صحته تقتصر على الماضي السحيق فقط.

يعرف الساسة الاسرائيليون ، ومن يسير في ركبهم ، انه ما من قيادة في التاريخ كله ارتكبت خطأ بفداحة الخطأ الذي ارتكبته القيادة النازية الالمانية . ولم يترتب على هذا الخطأ كوارث فاقت ما عرفته البشرية في كل تاريخها ، بحق الشعب الالماني وحده بل وبحق جملة من شعوب وامم الارض كافة.

ولو ان قادة دول الوفاق ـ الاتحاد السوفييتي ، اميركا ، بريطانيا ، فرنسا واخرين.. ولو ان مفكرين وعلماء في العالم ، قبلوا منطق الساسة الاسرائيليين حول الخطأ المصيري وما ترتب عليه ، لكان عليهم ان يقايضوا وطن الامة الالمانية ونظامها ودولتها وثرواتها على سبيل التعويض عن الخسائر الهائلة في الارواح والممتلكات والثروات الروحية وغيرها التي لحقت بامهم وشعوبهم. لكان منطقيا وبدهيا اذن في حال استعارة المنطق الاسرائيلي ان يتم اقتسام المانيا ، وايطاليا واليابان بين دول الوفاق المذكورة ، وان يشرد الالمان واليابانيون والطليان في كل بلاد العالم.

لقد كلفت الحرب العالمية الثانية التي شنها نظام هتلر النازي ، وحلفاؤه الفاشية الايطالية والعسكرية اليابانية ، البشرية زهاء ٥٠ مليون قتيل واكثر من ٢٠٠ مليون جريح ومشوه وخسائر والام وكوارث مادية وغير مادية صعب حصرها بعمليات الحساب.

ولم تكن القيادة بضعة أفراد

ولو ان قادة دول الوفاق استعاروا المنطق الاسرائيلي اذن لكان من حقهم استملاك الارض الالمانية ، ونزع حق الامة الالمانية في تقرير المصير ، ليس فقط على سبيل التعويض وانما غنيمة حرب .

ولو ان قادة دول حلف الوفاق تجاوزوا مسألة التعويض عما حل بشعوبهم من كوارث وتوقفوا عند تركيبة النظام النازي ، لكان ما يحق لهم ، باستعارة المنطق الاسرائيلي ، فعله بالشعب الالماني يفوق حدود التصور في فظاعته .

ان النظام النازي ، ومثله الفاشي الايطالي ، والعسكري الياباني، لم يقتصر على بضعة افراد ،

Digitized by Birzeit University Library

جلسوا على قمة هرم السلطة ، ولا مجموعات اوباش تتبعهم وتنفذ رغباتهم المجنونة ، وجرى تقديمهم فيما بعد لمحاكمات نورنبرغ الشهيرة ، ومحاكمات اخرى ، لقد كان لكل نظام منها جهاز ضخم للسلطة بمن فيهم افراد الحزب ومؤيدوه. وبغض النظر عما اذا كان ملايين الالمان قد خدموا النظام النازي باخلاص او بدونه ، تحت تهديد القوة او عن قناعة فالحقيقة تظل ان اعدادا تفوق تعداد الشعب الفلسطيني بكثير شاركت النظام او هيأت وساعدت على ما تم ارتكابه من جرائم فظيعة على يدي هذا النظام وفي صفوف الامم الاخرى.

لقد كان ، ومن باب تذكير من لا يحب التذكر ، يعمل في خدمة النظام النازي جهاز قضائي كامل ، رجال قانون ومحامون ..الخ ، استمر الجهاز في عمله حتى ٢٦ نيسان ١٩٤٢ ليحله هتلر بعد تلقيه اول هزيمة كبيرة في حربه المجنونة على ابواب موسكو. وكان للنظام جهاز تشريعي كامل ايضا ـ البوندستاغ ـ الذي ظل يمارس نشاطه حتى سقوط هتلر. وعمل في خدمة النظام جهاز اعلامي ضخم الى جانب شعراء وكتاب ومفكرين وفنانين وعلماء واكاديميين وبحجم عددي اكبر من كل الشعب الفلسطيني.

ولا شك يعرف القارىء ان الجامعات والمدارس والانتاج الادبي والعلمي والفني ..الخ لم تتوقف في عهد هتلر ـ اكثر من ١١ سنة ـ لان الغستابو كانوا يحكمون البلاد .. والجميع يعرف ان بعض فروع العلوم تطورت بدفعات كبيرة الى امام انذاك . خصوصا ما يتعلق منها بالانتاج الحربي وفي مجالات الفيزياء والكيمياء.. وغيرها.

كما لا يتصور القارىء ان جهاز التربية والتعليم وكذلك منظمات الشباب والنساء ، كانت تربي الشباب والتلاميذ باخلاق التسامح وعلى القيم الانسانية والاخاء والمساواة ولا تمجد تفوق الجنس الاري. ولو انها فعلت ذلك لما انخرط هؤلاء الشبان ، عند التحاقهم بالجندية ، في ارتكاب الاعمال الوحشية ، بكل تلك القسوة غير الانسانية التي تصرفوا بها تجاه البشر من الامم الاخرى.

اكثر من هذا لا شك يعرف القارىء ان السيد الالماني تحرر من العمل الاسود داخل المانيا وان العمل الاسود هذا احيل الى ابناء الشعوب الاخرى المقهورة المنقولين الى المانيا. وتمتع قسم كبير من الالمان ، في سنوات النصر الاول ، بثمار خيرات كدح الشعوب المغلوبة . كما تحررت السيدة الالمانية من العمل المنزلي الرتيب والسخيف الذي احيل على بنات شعوب اوروبا المستعبدة.

ما اريد قوله ان نسبة غير قليلة من الالمان استفادت من النظام النازي واندمجت مصالحها بمصالحه وبالتالي خدمته باخلاص ونفذت اوامره بارتكاب الجرائم عن قناعة او بدونها.

وهكذا لو ان الشعوب المقهورة ضغطت على قياداتها مستعيرة منطق ساسة اسرائيل ، ورجل الشارع فيها لعمل مقايضة تتعلق بتعويض الخسائر اذن لتوجب على قادة دول الوفاق ان يتصرفوا بغير ما تصرفوا.

لكن قادة دول الوفاق لم يتصرفوا على اساس هذا المنطق ولم تطالبهم شعوبهم بذلك ، لانهم يعرفون قوانين العالم المعاصر ، ويقرون بشرعيتها ويحافظون على تطبيقها.

لقد اقتصر حسابهم كما هو معروف على الرؤوس المسؤولة للانظمة ، النازي والفاشي والعسكري والياباني ولم يأخذوا الشعوب بجريرة ما فعلته قياداتها. وبمساعدة ابناء هذه الامم الاوفياء عمل المستعمرون على اعادة تربية الامم الالمانية والايطالية واليابانية بروح انسانية جديدة وبتوجه لاقتلاع التربية بروح الفاشية والنازية منها. ولم تمض بضع سنوات حتى كان في المانيا دولتان تتصدران في جملة من المجالات ليس الدول الاوروبية فقط وكذلك كان حال

Digitized by Birzeit University Library

ايطاليا واليابان . وربما لا يزال الساسة الاسرائيليون يتذكرون ان قادة حلف الوفاق بذل مطالبة شعوب هذه الدول بالتعويض عما الحقته انظمتها بشعوب وامم بلدان الوفاق بشعوبها واممها من خسائر ، مدت يد الدعم والمساعدة لها لاعادة اعمار ما خربته الحرب ولانهاض اقتصادها وكل مؤسساتها الاخرى على اقدامها من جديد. وكان من حقها ان تمتنع عن مد يد الدعم والمساعدة على اعتبار ان شعوب بلدان الوفاق اولى بهذه الاموال لاعادة اعمار ما خربته الحرب ولشفاء الجراح والالام وبسرعة اكبر.

وليس ما جرى بعد الحرب العالمية الثانية هو المثال الكبير الوحيد في عالمنا المعاصر. مثل ذلك ومع عدم تطابق في التفاصيل جرى بعد الحرب العالمية الاول وبعد حروب نابليون وقائمة السرد قد تطول كثيرا. واذا كانت قبل نشأة المجتمع الدولي الحديث والمعاصر قد تمت هنا او هناك الحاقات وضم استنادا لنتائج حرب ، ارتكب فيها قادة خطأ مصيريا ، فان ذلك بات من الماضي وغير قابل للتحقيق الان في مجتمع دولي تحكمه قوانين وشرائع ومواثيق مقبولة من الجميع . ويذكر الساسة الاسرائيليون ولا شك ان الدول المستقلة بعد افول الاستعمار ورثت قضايا ونزاعات اقليمية عديدة وان مسألة تغيير الحدود والقيام باعمال ضم والحاق ، استنادا الى القوة باتت غير ممكنة الان رغم توفر الامكانيات من الناحية العسكرية وموازين القوة المحلية الصرفة ، ورغم حماقات ، يمكن تسميتها حسب القاموس الاسرائيلي باخطاء مصيرية ، ترتكب هنا او هناك.

راعود الى السؤال : اذن لماذا يردد السادة الاسرائيليون وعلماء وغيرهم ومعهم مفكرون حصينون مثل هذه الحجج السخيفة عن الخطأ التاريخي والمصيري بين وقت واخر؟! هل هو من اجل الحفاظ على البناء الاخلاقي والقيمي الانساني لليهود ولشعب اسرائيل؟!

في ظني ان المسألة تتجاوز ذلك الى محاولة تحقيق كامل برنامج الحركة الصهيونية . سلب الوطن الفلسطيني كله ، ومواصلة محاولات الالتفاف على حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وحرمانه من هذا الحق وعدم تمكينه من الحصول عليه مستقبلا.

ولكن ساسة اسرائيل يعرفون بوعي كامل ، وهذا ما يقض مضاجعهم، ان حق تقرير المصير للامم والشعوب،هو حق ثابت وغير قابل للتصرف،ولم يجر تقييده بأية قيود،وبما في ذلك موقف او فكر قيادة له،مهما كان هذا الموقف او الفكر ، متعقلا او متطرفا او حتى مجنونا.

ولا شك هم يعرفون ان الشرعية الدولية،حين حرمت ضم اراضي الغير بالقوة،لم تضع شرطا ان هذا التحريم يصبح باطلا،اذا كانت القيادة المهزومة قد ارتكبت خطأ ام لا ، كما لم تضع مقاييس لقياس فداحة الخطأ من عدمه.

والامر غير ذلك

ومع ذلك يعرف قادة اسرائيل ان ما يسمونه بخطأ القيادة الفلسطينية المصيري ، برفض قرار التقسيم ودخول حرب عام ٤٨ ، كان في جزء هام منه مؤامرة دقيقة حاكت خيوطها بمهارة وذكاء الوكالة اليهودية والقيادات الصهيونية انذاك بالاتفاق مع انظمة عربية عميلة لبريطانيا العظمى . واذا كانت الحبكة للمؤامرة جد متقنة وجرى تمويهها بدقة بالغة وبالتالي تمكن اصحابها من تنفيذها ، فليس معنى هذا ان على العالم تغيير شرائعه ونظمه ليجيز ما فعلوه

Digitized by Birzeit University Library

كسابقة دولية . وربما يتذكرون ان فصيلا هاما من فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية انذاك قبل القرار المذكور وحذر من المؤامرة،وكشف خيوطها،واشار الى ما قد يلحق بالشعب الفلسطيني من كوارث مترتبة عليها. فهل [redacted] هذا يجازى الشعب الفلسطيني بحرمانه ، والاصرار على ذلك ، من حقه المقدس في تقرير المصير ؟!

محطة (٢)

من هم أصدقاء النازيين

واحد البراهين التي دأبت القيادة الصهيونية ، ومن بعدها المؤسسة الحاكمة ، وجملة من المفكرين والمشتغلين في الاعلام والسياسة ، على تقديمها ، للتدليل على عدم اهلية الشعب الفلسطيني ومن ثم عدم احقيته ، لممارسة حقه في تقرير المصير ، احد البراهين كان علاقة القيادة الفلسطينية في الاربعينات بنظام هتلر النازي عبر مسلمي يوغوسلافيا.

صحيح ان القيادة الفلسطينية أنذاك ارتكبت هذه الخطيئة . لكن التاريخ سجل ان مثلها كثرة من قادة حركات التحرر الوطني في ذلك الوقت وقعوا في نفس الخطأ . اكثرهم ومنهم القيادة الفلسطينية ركضوا وراء وهم يقول بأن نظام هتلر النازي ، ما دام يشن حربا على بريطانيا وفرنسا وهولندا ودول مستعمرة اخرى ، فقد يساعد هذه الحركات في نضالها ضد هؤلاء المستعمرين ومن اجل كسب الاستقلال للشعوب المقهورة.

ومنظمة "شتيرن"،التي كان يقودها اسحق شامير ذاته وقعت في نفس الخطأ واقامت نفس الصلات بل واعمق كثيرا مما فعلته القيادة الفلسطينية.

والسؤال الذي يبرز اذا كان بمقدور هؤلاء رؤية القذى في عيون الاخرين فلماذا لا يرون الخشبة في عيونهم؟! هذا مع العلم ان القيادة الفلسطينية ذهبت اثر وقوع نكبة عام ٤٨.

وفي كل مرة اشير فيها الى علاقة منظمة "شتيرن" وشامير نفسه بالنظام النازي كان شامير يواجه الامر بالتجاهل التام واحيانا بالانكار حتى ان شكوكا قويت حول ما اذا كانت هذه الواقعة صحيحة ام لا برغم انها مثبتة في سجلات تاريخ الحرب العالمية الثانية .

لكن اسحق شامير اعفى الباحثين والمجتهدين من مشقة متابعة البحث والاجتهاد. وفي مقابلة مع التلفزيون الفرنسي بمناسبة احتفالات اسرائيل بالعيد ال ٤٠ لقيام دولتها ، اضطر شامير للاعتراف بان منظمته "شتيرن" كانت تقيم فعلا وعلى مدى اكثر من سنتين مثل هذه العلاقة. وتحديدا في الفترة التي ارتكبت فيها النازية الالمانية ابشع واوسع جرائمها ضد البشرية عموما واليهود على وجه الخصوص.

وادعى شامير ان هذه الصلة اقيمت اثناء غيابه في السجن . ولكنه عندما خرج من السجن في العام ١٩٤٢ امسك بزمام قيادة "شتيرن" والغى اي شكل من اشكال الاتصال مع المعسكر الفاشي.

اعترف شامير ايضا باحتمال ان تكون منظمته وقعت الوثيقة التي عثر عليها في السفارة الالمانية في انقره والتي تطلب المساعدة من المانيا النازية في تكوين "جيش يهودي في فلسطين"

Digitized by Birzeit University Library

لمحاربة الانجليز وتأسيس الدولة اليهودية.

ومع ان شامير نفى بشدة الاتهام القائل بانه هو الذي وقع الوثيقة المذكورة ، لكنه لم يقل شيئا عما فعله مع زعماء منظمته "شتيرن" الذين استغلوا غيابه في السجن فاقاموا هذه الصلة ووقعوا الوثيقة الملعونة.

ولو ان شامير فعل لهم شيئا لتباهى امام العالم بعدائه الاصيل للنازية . وللفت الانتباه الى العقوبة التي اوقعها بهؤلاء المتعاملين من عصابة "شتيرن" مع النازية. وما يمكن استنتاجه انه لم يفعل شيئا سوى وقف الصلات ان كان ذلك صحيحا. مع ان التاريخ الذي يشير له شامير لوقف الاتصالات يوضح ان وقفها كان لسبب اخر غير رفض التعاون مع النازية حيث كان نجم النازية قد بدا واضح الافول بعد تلقيها اول هزيمة كبرى على ابواب موسكو ، ودخول اميركا الحرب ضدها. فشامير اعترف ان الصلات مع النازية كانت قائمة قبل الحرب العالمية الثانية . ولم تكن نوايا هتلر تجاه اليهود والشعوب الاخرى مجهولة . فقد كانت مدونة في برنامج حزبه "النازي" . وكان عداؤه للديمقراطية وجرائمه الفظيعة قد ظهرت منذ اليوم الاول لاستلامه السلطة . وحرب الابادة بدأت قبل توقيع الوثيقة والصلات . كما جرى في بولونيا مثلا. لكن شامير يعلل الامر ببساطة حين يقول ان فكرة سادت في عصابة "شتيرن" وعند غيرها تقول باستعداد القيادة الالمانية ، قبل الحرب ، بالسماح لليهود الاوروبيين بمغادرة اوروبا وتركهم يؤسسون دولة اسرائيل. اي نفس الدوافع والترجهات التي اقام على اساسها عدد من قادة حركة التحرر ، وبينهم القيادة الفلسطينية ، صلاتهم مع المانيا.

ولو قبل المرء مثل هذه الافكار الساذجة لاتضح ان شامير وعصابته "شتيرن" كانوا يضعون مصلحتهم فوق مصالح العالم باجمعه. ففي الوقت الذي كانت النازية الهتلرية تهدد العالم كله بالويل حين يجثم ظلها الكئيب على صدره كان شامير لا يفكر في غير الاستفادة من افكار النازية في دفع اليهود للهجرة من اوروبا الى فلسطين وتأسيس الدولة اليهودية.

لكن المهم في الامر ان ما فعله شامير وعصابة شتيرن ، الصقه كتهمة جريمة بالقيادة الفلسطينية ، قرر على اساسها مع غيرها ، عدم اهلية الشعب الفلسطيني لممارسة حقه في تقرير المصير.

ترى لو تغاضينا عن تعاون شامير مع النازية ، هل يمكن لعلماء ومؤرخين واصحاب فكر قبول مثل هذه الفكرة اساسا لحرمان شعب من حقه في تقرير المصير؟!

لقد اجابت الممارسة العالمية على هذا السؤال في الواقع. ففي الحرب العالمية الثانية تحالف العديد من الحكومات الاوروبية مع النازية الالمانية والفاشية الايطالية . وفي اسيا تحالف اخرون مع العسكرية اليابانية . بينها على سبيل المثال حكومات تركيا ، رومانيا ، بلغاريا ، المجر ، النرويج وغيرها. وخدمت حكومات اخرى وقطاعات واسعة من البرجوازية الكبيرة ، في البلدان التي احتلتها الجيوش الهتلرية ، نظام النازي باخلاص . وجيوش هذه الحكومات والنظم ، وصناعات ووسائل الانتاج البرجوازية ، ساعدت الة الحرب النازية بل وشاركتها فيما ارتكبته من فظائع . وانزلت ويلات لا تحصى بشعوب دول حلف الوفاق المعادي للحلف الفاشي بقيادة هتلر.

وحسب منطق القيادة الصهيونية ، ورجال مؤسسة الحكم الاسرائيلية ، وتوابعهم من رجال علم وفكر ومؤرخين كان يتوجب على دول الوفاق ، اي بريطانيا ، الاتحاد السوفييتي ، اميركا

Digitized by Birzeit University Library

وفرنسا وباقي دول الحلف ، ان تقتص من شعوب تلك البلدان بجريرة اخطاء قياداتها. وان يتجاوز القصاص حد فرض دفع التعويضات الى اقتسام اراضي تلك الشعوب. كجزء من التعويضات وحرمانها من حق تقرير المصير والعودة لانشاء نظم جديدة.

لكن قيادات الحلفاء استجابة منها لمنطق العصر وشرائعه وقوانينه لم تفعل ما اباحته القيادة الصهيونية ومؤسسته الحكم الاسرائيلية لنفسها. بل فعلت ما يتوجب فعله حقا. ساعدت شعوب البلدان التي تحالفت نظمها الحاكمة مع هتلر وحلفائه على التخلص من تلك النظم واقامة نظم حكم جديدة . واكتفت بان حاكمت الشعوب ، والنظم الجديدة ، النظم المجرمة محاكمات عادلة امام القضاء امام محاكم الشعوب.

ان ما يمكن فهمه من منطق حكام اسرائيل ان قانونا خاصا بهم ، متعارضا مع النظام العالمي ، هو الذي يتوجب على العالم قبول تطبيقه ضد الشعب الفلسطيني . ويتمثل في ضرورة سلب الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير ثمنا لاطماع اسرائيل لا غير. فاسرائيل مثل بنت دلوعة يجوز لها ما هو محرم على غيرها من البنات .

محطة (٣)

من هو الارهابي ؟

وبمناسبة العيد ال ٤٠ لقيام اسرائيل اجرت مجلة "تايم" الاميركية مقابلة هي الاخرى مع اسحق شامير رئيس وزراء اسرائيل . في هذه المقابلة كرر شامير رفضه للمؤتمر الدولي وللتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية .. وزعم ان عرفات "لم يقل ابدأ انه يريد السلام هنا. انه يقول انه يريد ان يرانا وقد اختفينا من هنا". المجلة ذكرت شامير ان الدول والحكومات تتفاوض مع اعدائها مهما بلغت درجة الكراهية بينهم. ورد شامير بان ذكر مراسل المجلة بوقوع استثناء لهذه القاعدة في التاريخ. فقد رفض قادة الحلفاء التفاوض مع حكومة هتلر. واردف "بالنسبة لنا عرفات مثل هتلر انه يريد ان يرانا جميعا ميتين".

سنتجاوز حقيقة الكذب الوقح ، ورائحة النفاق الكريهة التي تنبعث من كلام شامير . ذلك انه اعترف ، كما اوضحنا في محطة سابقة ، بان عصابة "شتيرن" التي كان يرئسها اقامت صلات مع حكومة هتلر وان هذه الصلات امتدت اكثر من سنتين . وان كل ما فعله شامير ، كما زعم ، انه اوقف هذا التعاون ، وظل تاج الغار يزين هامات من اقاموا هذه الصلة حتى الان . اي سنتجاوز حقيقة ان شامير من الناحية المبدئية ليس لديه مانع مع التفاوض وحتى اقامة الصلة مع هتلر نفسه اذا كان هذا التعاون من وجهة نظره يخدم مصلحة اسرائيل وليس مع عرفات لو صدق قول شامير بانه مثل هتلر.

قد يكون هناك فلسطينيون لا يحبون رؤية دولة اسرائيل، وان يروهم وقد اختفوا كما زعم شامير. وقد تكون مثل هذه المشاعر او النوايا مبررة على ضوء ان الشعب الفلسطيني تعرض لنكبتين ضخمتين والى عدد لا يحصى من المآسي على يدي العبريين قبل ٥٠ قرنا وعلى يدي الاسرائيليين قبل ٤ عقود. والنكبات والمآسي والالام تبعث الكراهية وتثير الاحقاد.. وغير ذلك. خصوصا وان الشعب الفلسطيني لم يسجل عليه انه الحق اذى مهما كان طفيفا باليهود رغم

Digitized by Birzeit University Library

النكبتين الضخمتين والالام التي لا تحصى.

ومع ذلك يحاسب شامير على النوايا ويريد العالم ان لا يرى افعاله. تماما مثل الحرامي الذي يوجه الجمهور بصراخه للاحقة الضحية.

لكن اذا كانت النوايا والمشاعر تستوجب احكاما فيها حرمان شعب من حق اختيار قيادته ، ومن حقه في تقرير المصير فهل يجوز تطبيق مثل هذا الحكم او القانون على الاسرائيليين ؟ ام هو مصمم خصيصا للفلسطينيين وحدهم من بين سائر شعوب العالم؟

لقد تحدث الجنرال اوري اور الذي شغل منصب قائد المنطقة الوسطى ، اي الحاكم العسكري الاعلى ، للضفة الغربية ، لاربع سنوات متتالية ، وبالتالي هو على اطلاع كامل على السياسة الاسرائيلية منهجا وتطبيقا ضد اهالي الاراضي المحتلة ، تحدث مع "جيروزلم بوست" بعد مقابلة شامير ببضعة ايام فماذا قال؟

قال الجنرال اور "ان معظمنا يتمنى ان يستيقظ غدا ولا يرى عربيا هنا" . اليست هذه هي نفس الكلمات التي الصقها شامير بياسر عرفات كمبرر لرفض الحديث مع منظمة التحرير ، ولتشبيه عرفات بهتلر؟

لا نعود هنا للتذكير ، بما سبق وقلناه في محطات سابقة بأن شعار دولة يهودية نقية والتهويل من الخطر الديموغرافي ، وما ترتب عليهما من افكار وخطط حول طرد العرب الفلسطينيين من وطنهم وما تم تنفيذه في حرب عام ٤٨ ثم في ٦٧ ، يتجاوز مسألة النوايا والمشاعر التي يقدمها شامير للعالم مبررا للحساب ولحرمان الشعب الفلسطيني من حقه في تقرير المصير.

محطة (٤)

الاصرار على الاردن لماذا؟

في كل التحركات ، والاميركية بالاساس ، تصر مؤسسة الحكم في اسرائيل على ان يكون الاردن شريكها في المفاوضات لحل القضية الفلسطينية . واحيانا يتنازل المسؤولون بقبول اشخاص فلسطينيين ، من طراز خاص يناسبهم ، يضمهم الوفد الاردني.

وبعد ان اعلن الملك حسين ، تحت ضغط الانتفاضة ، بان الاردن لن يتفاوض نيابة عن الفلسطينيين وانه لن يسعى لان يكون بديلا عنهم ، وانه يتمسك بان تمثلهم منظمة التحرير ولها وحدها حق مناقشة واخذ القرارات فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية .. الى اخر تصريحاته ، حتى بعد ذلك ظل بيرس وشامير وغيرهم يصرون ان يكون الاردن وحده شريكهم في المفاوضات.

وعادة يقولون ، كما سبق ورددوه في الماضي ، من مبررات لرفض التفاوض مع الفلسطينيين وعلاقة الاردن بالقضية وقبولهم فقط بدولتين في ارض اسرائيل التاريخية التي كانت تخضع للانتداب البريطاني ، اي الاردن وفلسطين، لكن هذه الاقوال لا تفسر الاصرار على ان يتولى تمثيل الفلسطينيين من هو ليس فلسطينيا.

Digitized by Birzeit University Library

وكما هو معلوم فقد افرجت الخارجية البريطانية قبل اكثر من عشر سنوات عن وثائق تتعلق بتاريخ القضية الفلسطينية ونشأتها. ودمغت هذه الوثائق النظام الاردني بشراكة التآمر مع الوكالة اليهودية على سلب الشعب الفلسطيني ليس فقط حقه في تقرير المصير ومنعه اقامة دولته الوطنية المستقلة بل وتقسيم وطنه ، ارض الدولة الفلسطينية حسب قرار التقسيم بين امارة شرق الاردن واسرائيل.

وبمناسبة احتفالات اسرائيل بعيد قيامها ال ٤٠ بث التلفزيون البريطاني تقريرا تناول لقاءات الملك عبدالله ، امير امارة شرق الاردن انذاك ، مع غولدا مائير . التقرير قال ان اللقاءات تمت قبل نشوب حرب عام ٤٨ وقبل خروج بريطانيا من فلسطين وانهاء الانتداب . وقال ان الامير وغولدا مئير اتفقا على حرمان الشعب الفلسطيني من حق تقرير المصير واقتسام وطنه . ودونت وزارة الخارجية البريطانية الاتفاق في وثيقة لديها . ولما نشبت الحرب ابلغ الامير عبدالله غولدا مئير بان الامور خرجت من يده وبمعنى انه فقد القدرة على الالتزام بتنفيذ الاتفاق . ويضيف التقرير ان وزارة الخارجية البريطانية تجاهلت هذا التعديل والتزمت بتنفيذ الاتفاق السابق والمبرم بين الجانبين.

ومن غير الصعب تصور كيف طبقت بريطانيا الاتفاق المذكور . فالكل يذكر ان الامير ، الملك فيما بعد ، عبدالله ، عين قائدا عاما للجيوش العربية ، المصري ، العراقي ، الاردني التي دخلت فلسطين . والجيوش الثلاثة بالتالي اصبحت تحت القيادة المباشرة للجنرال البريطاني غلوب باشا قائد الجيش الاردني وضباط بريطانيين اخرين يتمركزون في قيادة الوحدات داخل فلسطين وفي بغداد والقاهرة .. وبمجرد دخول هذه الجيوش لفلسطين اوقفت العمل الفلسطيني وتولت هي مهام الدفاع والمهام العسكرية المختلفة.

آنذاك رفضت الانظمة العربية وكلها تابعة لبريطانيا قرار التقسيم وحرضت القيادة الفلسطينية على رفضه فيما قبلته لاغراض دعائية ، وللتعمية على المؤامرة ، قيادة الوكالة اليهودية . والحصيلة بعد ذلك معروفة.

لكن الامر المهم انه تم بالفعل تقسيم ارض الدولة الفلسطينية ، حسب قرار التقسيم مناصفة بين اسرائيل وامارة شرق الاردن لتقوم المملكة الاردنية الهاشمية . فحصة الدولة الفلسطينية حسب قرار التقسيم تزيد قليلا على ١١ الف كيلومتر مربع من ارض فلسطين تبقت منها الضفة الغربية وقطاع غزة حيث ضمت الاولى للاردن ، وبمساحة تقل قليلا عن ٦ الاف كيلومتر مربع. وجرى اقتسام السكان بنفس النسبة تقريبا.

والاصرار الاسرائيلي الان ، بعد اكثر من ٤٠ سنة على المؤامرة الاولى ، بان يمثل الاردن الفلسطينيين في مفاوضات ثنائية مباشرة ، يفسر على ارض الواقع بمحاولة جديدة لاقتسام الضفة الغربية ارضا وسكانا بهدف اطلاق رصاصة الرحمة على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني . وليس هذا رجما بالغيب او محاولة لتفسير مشروع الون او تفسير العبارات الغامضة لشمعون بيرس.

رابين وزير دفاع اسرائيل كفى المجتهدين شر اجهاد الفكر لتفسير خطوط المؤامرة او الخطة الجديدة فقد اوضح في تصريحاته الاخيرة ان غرض المباحثات مع الاردن يتمثل في معاودة تقسيم الضفة سكانا وارضا بين الطرفين . ٦٠٪ من السكان للاردن ، ٤٠٪ لاسرائيل ، اما

Digitized by Birzeit University Library

تقسيم الارض فقد سبق وحصلت اسرائيل على ٥٢٪ من الارض ، في المصادرات المتعاقبة لاغراض الاستيطان يضاف اليها الارض التي يسكن عليها ال ٤٠٪ من القطيع ، الذين هم سكان الضفة ، الذين حسب التقسيم سيكونون حصة اسرائيل .

وفي ظن قادة اسرائيل ان تطبيق هذه الاتفاقية الجديدة من شأنه ان ينهي بضربة واحدة والى الابد آمال الشعب الفلسطيني في احقاق حقوقه المشروعة بما فيها حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة . واذن ليس سواد العيون الاردنية ولا ما يقال عن حاجات امن اسرائيل التي لا تستطيع الدولة الفلسطينية الفتية المساس بها ، ولا تطرف القيادة الفلسطينية وما شابهها من مبررات هي السبب في هذا التمسك بالشراكة مع الاردن في مفاوضات مقبلة. مرة اخرى المنطلق والهدف منع الشعب الفلسطيني من امساكه بحقه في تقرير المصير.

محطة (٥)

من يمثلون الشعب!

ادمن المسؤولون الاسرائيليون على الادعاء بان منظمة التحرير لا تمثل الشعب الفلسطيني وبان الارهاب ابرز صفاتها ، ويقدم المسؤولون هذه الادعاءات في معرض تبريرهم لرفض التفاوض معها ، سواء وجها لوجه ، كما يطالبون بذلك انظمة عربية ، او من خلال المؤتمر الدولي . كما ادمن هؤلاء المسؤولون الحديث عن وجود ممثلين اخرين ، يصفونهم احيانا بالحقيقيين ، واحيانا بالاصايل وغيرها من الصفات التي يقولون انها لا تنطبق الا على بعض الاشخاص من سكان المناطق المحتلة.

وفي حديث للرئيس هيرتصوغ بمناسبة مرور ٢١ سنة على حرب حزيران ، وتوليه لفترة رئاسته الثانية حدد اوصافا اكثر دقة لمن تعتبرهم المؤسسة الاسرائيلية ممثلين حقيقيين مقبولين لها عن الشعب الفلسطيني . وهذه الصفات هي اولا: التردد بكثرة على ديوانه ودواوين المسؤولين الاخرين ثانيا والقول في حضرته وفي حضرة المسؤولين الاخرين ما لا يجرؤون على مواجهة شعبهم به وثالثا يتمتعون بشجاعة تبلغ حد القول جهرا ما يتعارض مع ما يردده ويريده الشارع الفلسطيني.

وفكرة الادارة الاميركية ، كما اوضحها شولتز وميرفي وغيرهما من المسؤولين عن صفات الممثلين الفلسطينيين، وافكار النظام الاردني ، قبل اعلان الملك حسين تخليه عن تمثيل الشعب الفلسطيني ، وتوقف البحث عن بديل لمنظمة التحرير ، هذه الفكرة تتطابق الى حد بعيد مع الفكرة الاسرائيلية السالفة . وبديهي ان كل من يفكر في مصلحة الشعب الفلسطيني من ابنائه يحيد عن الفكرة الاسرائيلية الاميركية وتسحب صفة التمثيل منه.

وليس رجما بالغيب القول ان الرئيس هيرتصوغ وهو بروفيسور القانون الدولي ، وسبق ان شغل منصب سفير بلاده في الامم المتحدة ، وتقلب في مناصب اخرى قبلها ، وحتى ولو من باب خبرته الشخصية ايام عمله كضابط كبير في المخابرات البريطانية في سنوات الحرب العالمية الثانية ، ليس رجما بالغيب القول انه والمسؤولين الاخرين ، يعرفون ان هذه هي ذات الصفات

Digitized by Birzeit University Library

التي كان يطلبها الاستعمار ، من كل شعب طالب بالاستقلال والظفر بحق تقرير المصير ، ان تتوفر في الممثلين الذين يعتبرهم حقيقيين ويقبل التفاوض معهم.

ولقد صنف التاريخ امثال هؤلاء بانهم اما من فئة الموظفين الذين تربوا على طاعة المستعمر والعمل وفق مشيئته ، او من فئة الذين اثروا على حساب فتات مائدة المستعمر ومن جزء من الثروة التي نهبها من شعبهم . وبديهي ان يشعر هؤلاء بانهم مدينون فيما وصلوا اليه الى المستعمر . وان رباط المصلحة معه يظل اقوى من كل رباط مع شعبهم . وانهم يتطلعون الى ان يرثوه بعد رحيله وان تستمر الصلات كما كانت في السابق. ولذلك هم يكثرون التردد على مجالسه ويقولون في حضرته ما لا يجرؤون على قوله لشعبهم ، لان ما يقولونه يتفق ومصالح سيدهم ويتناقض في ذات الوقت مع مصالح شعبهم . وان لديهم شجاعة الخائن ليقفوا علنا مع المستعمر ضد مصلحة شعبهم .

تلك غدت من الامور البديهية التي تختزنها كتب التاريخ ولا يجهلها هيرتصوغ او غيره من المسؤولين . ولعلنا نذكر هؤلاء بان المستعمرين رفضوا دائما الاعتراف بقادة حركات تحرير الشعوب المستعمرة . وانهم زجوا هؤلاء القادة في السجن وبالطبع ليس بتهمة الاخلاص لشعبهم والتفاني في خدمة قضيته بل بتهمة المس بامن الدولة وبمصالحها العليا وربما بتهمة الارهاب والقتل وغير ذلك .

ولعل هؤلاء المسؤولين يذكرون ان بريطانيا رفضت التفاوض مع المهاتما غاندي وهو صاحب مذهب اللاعنف والمقاومة السلمية وزجت بابن الهند البار جواهر لال نهرو في غياهب السجن ومثلهم فعلت مع سعد زغلول وكوامي نكروما وكينيث كاوندا وجوليوس نيريري وغيرهم كثيرون . وبمثل ذلك تصرفت فرنسا في الفيتنام والهند الصينية وفي الجزائر حيث زجت باحمد بن بيلا وغيره من قادة الثورة في السجن ووصفت هواري بومدين باوصاف شتى مما تطلقه المؤسسة الاسرائيلية الان على قادة الفصائل الفلسطينية .

ولعل المسؤولين الاسرائيليين يذكرون ان الاستعمار البريطاني والفرنسي والبلجيكي والهولندي والبرتغالي..الخ اضطر مع استمرار ثبات الشعوب على المطالبة بحقها في تقرير المصير الى الافراج في نهاية المطاف عن القادة الذين سبق وزج بهم في السجون والجلوس معهم على طاولة المفاوضات وفيما بعد استقبالهم كرؤساء او ممثلين محترمين لبلدانهم المستقلة.

وبالطبع يعرف المسؤولون الاسرائيليون،"والسيد هيرتصوغ "،بالتأكيد ، ان المستعمرين كانوا يسارعون احيانا لتسليم مقاليد السلطة الى "الممثلين الحقيقيين!" ، بدل تسليمها الى قادة حركات التحرر ، من اجل ضمان استمرار تبعية ذلك البلد لهم واستمرار شركاتهم ، ومتعددة القومية ، في نهب ثرواته عن طريق مثل هؤلاء الممثلين وهم يتربعون على سدة الحكم او بالاصح يكبسون على انفاس شعوبهم.

لكن المرء يستبعد ، وهو يستمع الى أراء في المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية ، عن امكانية ترك الضفة والقطاع من جانب واحد ، ان يكون المسؤولون الاسرائيليون يفكرون بتسليمها لمثل هؤلاء الممثلين ، ببساطة لانهم عجزوا طوال ٢١ عاما عن بناء جهزة للسلطة تمكن هؤلاء الممثلين من الاستمرار في الحكم ولو لمدة جد بسيطة.

ربما قد يقول احدهم لكن المسؤولين الاسرائيليين ، وبينهم الرئيس هيرتصوغ ، لا يقتفون اثار من سبقوهم من المستعمرين . وانهم ربما يكونون صادقين في انهم لا يتطلعون الى استمرار

Digitized by Birzeit University Library

السيطرة على شعب اخر . وانهم مضطرون للبحث عن "ممثلين" بالاوصاف المذكورة حفاظا على امنهم .. الى اخر الاسطوانة.

واقول لقد تثبتت في كتب التاريخ حقيقة ان المستعمرين وهم يبحثون عن ممثلين بالصفات اياها ، ويقولون بعدم نضوح شعوب المستعمرات ، وعدم اهليتها للاستقلال ، كانوا يراوغون ويحاولون قدر الامكان ابعاد اليوم الذي يضطرون فيه للاقرار بحق هذا الشعب او ذاك في تقرير مصيره .

وبحث المسؤولين الاسرائيليين عن مستحيل كهذا ، كما اثبتت الانتفاضة المجيدة ، ليس غير غطاء شفاف لحقيقة تنكرهم لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبما في ذلك اقامة دولته الوطنية المستقلة وعودة لاجئيه الى ديارهم حسب قرارات الامم المتحدة المتعاقبة. اي حسب الشرعية الدولية.

والا بماذا يفسر اصرار اسحق شامير على تسمية منظمة التحرير بالمنظمة الارهابية ، وتكرار الصاق صفة الارهاب بقادتها ، القادة الذين اختارهم الشعب الفلسطيني ، ويقر العالم بهذا الاختيار ، ممثلين وحيدين له؟

لقد وصل الى القدس مؤخرا وفد عن جمعية لرجال البوليس الانجليز الذين خدموا في فلسطين في السنوات الاخيرة للانتداب البريطاني عليها. ووصف اكبرهم وهو سدني جونسون الذي شغل منصب مدير عام بوليس لندن المنظمة التي تولى شامير انذاك قيادتها وهي "شتيرن" بالعصابة وقال انه كان لديها ميول اجرامية وان اعضاءها قتلة تنقصهم المشاعر من اي نوع كان . وقال ايضا ان البوليس البريطاني كان على قناعة بان شامير نفسه حاول تنظيم حملة رسائل ملغومة في لندن وقال ان اعضاء "شتيرن" من وجهة نظر الحكومة البريطانية كانوا ارهابيين . ومضى مقارنا فقال هم تماما مثلهم مثل منظمة التحرير في نظر الحكومة الاسرائيلية لكن كلا الطرفين هم مقاتلون من اجل الحرية في نظر شعبهم.

ويظل السؤال هل حقا تستطيع المؤسسة الاسرائيلية الاستمرار الى ما لا نهاية كما يقول شامير وغيره في انكار حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره او بعباراتهم الابقاء بالقوة على حالة الوضع الراهن الى الابد؟!

التجربة التاريخية تقول لا. وجدة العبارات الصادرة عن منكري حق الشعوب في تقرير مصيرها ليست غير اشارة الى قرب ظفر هذه الشعوب بهذا الحق المقدس غير القابل للتصرف.

محطة (٦)

تقليب طواقي

عداء المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية ، وقبلها الوكالة اليهودية والحركة الصهيونية ، لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، ورفضها الاقرار بهذا الحق ، والاجتهاد في حرمان الشعب الفلسطيني من الامساك به ، وممارسته ، كل ذلك يدفع القادة الاسرائيليين لحك ادمغتهم لتتفتق عن مبررات وبراهين واثباتات تؤكد صحة وجهة نظرهم ، ومن ثم مواجهة العالم بموقفهم هذا.

Digitized by Birzeit University Library

لكن البراهين والاثباتات غالبا ما تكون من السخف الى حد يثير التقيؤ . فهي تطالب العالم باجازة قوانين واعراف مفصلة لحساب اسرائيل وعلى مقاسها وحدها ، ومناقضة لتلك التي اقرها المجتمع الدولي وتسري على كافة الامم والشعوب.

شمعون بيرس مثلا يطرح امام الكنيست ، الهيئة التشريعية الاسرائيلية الوقورة ، في بداية الشهر الجاري ، وردا على مطالبيه باقرار حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ما يلي قال:"ان الشعب الفلسطيني لم يعرف في تاريخه اي شكل من اشكال تقرير المصير والاستقلال والديموقراطية . وبالطبع لم يكتف بيرس بهذا البرهان كي تتمسك مؤسسة الحكم في اسرائيل بانكار حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، بل اضاف :"ان مأساة الشعب الفلسطيني هي ثمرة اعماله".وبلغت قوة "البرهان!" عند بيرس حد ان قال ان جوهر اعمال الشعب الفلسطيني هي الارهاب.

واقوال بيرس هذه مثل اقوال غيره من المسؤولين ، يكررها ، رجال فكر وعلماء وساسة وغيرهم وكأنها حقائق او مسلمات لا يأتيها الباطل من امامها او من خلفها. وقبل ان نتساءل عن طبيعة او جوهر التربية التي تجعل علماء اجلاء ، او رجال قانون او مؤرخين .. يقبلون هذا المنطق السقيم باعتباره حقائق ، نقول : ذلك على اي حال شيء يخصهم ، ولنناقش اقوال بيرس هذا السياسي الداهية كما يقال.

ان نظرة شاملة على خريطة العالم ، ممزوجة باستذكار معلومات تاريخية عامة ، ولا اقول ، تفصيلية ، تبين ان كثرة من شعوب العالم لم تظفر بحياة مستقلة طوال تاريخها . فقد تناوبت السيطرة عليها هذه الامبراطورية او تلك .. او خضعت على مدى قرون للاستعباد من هذا البلد الاوروبي المستعمر او ذاك .

وبعض هذه الشعوب صغير لا يتعدى تعداده عشرات الالاف . واوطانها جزر في عمق المحيطات . عاشت حياة بدائية قبل ان يجثم الاستعمار على انفاسها . ومع ذلك نالت حق تقرير المصير . حتى الدول التي استعمرتها لم تنكر هذا الحق وسلمت به.

قد يكون بيرس وامثاله على حق لو وضعوا الامر بصورة اخرى. فقد كان قدر الشعب الفلسطيني ان يقع وطنه في قلب العالم القديم. وان يكون مهدا للديانات السماوية الثلاث. وبسبب هذا الموقع ، وبسبب صغر تعداد الشعب الفلسطيني كان وطنه محط انظار الطامعين على مر التاريخ . وكل الامبراطوريات الكبيرة في الجوار ، وحتى الاصغر منها ، اجتاحت فلسطين بجيوشها والحقتها بامبراطورياتها او دولها. وميل الشعب الفلسطيني للمسالمة ، وعشقه للسلام والامن لم يقه شر طغيان هذه الامبراطوريات والدول.

ولا شك يذكر السيد بيرس ، وعلماء ومؤرخو بلاده ، ان الشعب الفلسطيني تعرض لنكبتين مدمرتين على يدي شعب السيد بيرس . واحدة كانت قبل ٥٠ قرنا من الزمان ويزيد والثانية كانت قبل ٤ عقود.

فما هي ثمرة اعمال الشعب الفلسطيني التي يزعم السيد بيرس انها سر مأساته؟! ان الشعب الفلسطيني رغم ما وقع له من كوارث ، وما تجرع من آلام ، على ايدي مختلف الغزاة الطامعين ، وبينهم العبريون في الماضي ، والاسرائيليون في الحاضر ، لا لشيء الا لان القدر خصه بان هذا الوطن محط انظار الطامعين ، اقول رغم ذلك فان الفلسطينيين لا يحقدون على العالم ولا يكرهون الشعوب الاخرى ، وظلوا على ميلهم للمسالمة وعشقهم للسلام.

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا حتى لو كان ما يقوله بيرس صحيحا من ان الشعب الفلسطيني لم يعرف في تاريخه اي شكل من اشكال تقرير المصير والاستقلال ، فذلك لا يمنحه ومؤسسته الحاكمة حق مصادرة هذا الحق الان.

بيرس يعرف ، وكذلك مؤرخو بلاده وعلماؤها ، ان مفهوم حق تقرير المصير كما يتعامل به المجتمع الدولي الان ، تثبت وترسخ مع مطلع هذا القرن فقط. وحين جرى الاقرار به لم يكن ذلك ان هذه الشروط نفسها اذا طبقت على كل الامم والشعوب فان كثيرا منها سوف يجرد من ممارسة هذا الحق وبينها اسرائيل نفسها.

السيد بيرس يعلم ان اليهود لم يمارسوا اي شكل من اشكال الاستقلال وتقرير المصير منذ الفي سنة . وقبل ذلك لم تدم ممالكهم سوى فترات قصيرة . وموجات الغزو من امبراطوريات ما قبل الميلاد سلبتهم هذا الاستقلال.

والسيد بيرس وغيره من علماء ومؤرخين يعرفون ان الشعب الفلسطيني حصل على فترات من الاستقلال اطول من تلك التي تمتعوا هم بها. قبل غزو العبرانيين الاول وبعده وحتى في التاريخ القريب. على الاقل كانت لنا امارات في عكا وغيرها من البلدات تمتعت بمثل هذا الاستقلال وتقرير المصير في وقت كان فيه اليهود لا يملكون شيئا من هذا .هكذا ببساطة لا يصمد منطق بيرس وزملائه امام وقائع الحياة والهلع الذي يشعرون به مما قدمته الانتفاضة لا يمكن تفسيره الا بانهم يرون بان احلام قادة الصهيونية الاوائل واللاحقين تتبدد مع تباشير الصباح.

واخيرا

كثيرة هي التصريحات والاقوال ، التي يطلقها ساسة اسرائيل ومفكروها ، ورجال الاعلام فيها ، والتي يمكن تقديمها كأدلة ، على ان محور السياسة الرسمية الاسرائيلية ، ونشاطها الدعائي ، يقوم على اساس الاستمرار في تجريد الشعب الفلسطيني من حقه في تقرير المصير ، وبما ذلك منعه من اقامة دولته الوطنية المستقلة على ارض وطنه . وذلك يكشف سر هذا الحقد غير العادي الذي يكنه ويظهره قادة المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ، والدائرون في فلكهم لانتفاضة شعبنا المجيدة.

فالانتفاضة بصفتها تحرك شعب بكل فئاته الاجتماعية ، ومن كل الاعمار ، تمثل طموح شعب في اقرار وممارسة حقه في تقرير المصير . والانتفاضة بطابعها الديموقراطي العميق ، كما شهد بذلك العالم ، حركت الضمير العالمي ، وكشفت امام عينيه سطحية وهشاشة وعدم منطقية الحجج والتبريرات الاسرائيلية . واوضحت بصورة فائقة حجم معاناة الشعب الفلسطيني التي يجب ان لا تستمر .

وهكذا تجد القيادة الاسرائيلية نفسها في قفص الاتهام ، محاصرة ومطالبة باطلاق سراح حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني من القمقم الذي سبق وحشرته فيه. وهي وان كانت في وقت سبق قد رأت ان كامل احلام الصهيونية باتت قاب قوسين او ادنى. ترى الان كم هو سراب ووهم حلمها هذا . وان ساعة مواجهة الحقيقة اتية لا ريب. ساعة ان تضطر للاعتراف امام العالم ، والاقرار بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني والموافقة على بدء طريق مقبول كي يتمكن الفلسطينيون من ممارسة هذا الحق. وهذه الساعة اقرب كثيرا مما يتصوره قادة اسرائيل واخرون.

Digitized by Birzeit University Library

بعد ٢١ سنة على الاحتلال

المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط ومواقف الاطراف المختلفة منه

- منير سلام -

في الخامس من حزيران هذا العام ، يكون قد مضى على الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان السورية واحد وعشرون عاما ، حيث كانت هذه الاعوام مليئة باعمال القتل وممارسات القمع والتعسف التي يعرفها كل احتلال، وبالمقابل كانت ايضا اعواما مليئة بالصمود والنضال في سبيل حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني واقامة دولته الوطنية المستقلة .

وفي هذه الايام تشهد الاراضي المحتلة اوسع واكبر انتفاضة عرفتها طوال الاحدى والعشرين سنة الماضية، وها هي الانتفاضة توشك على انهاء شهرها السادس ودخول شهرها السابع، بالرغم من كل محاولات القمع والتضييق والحصار وكل انواع العقوبات الجماعية والفردية التي مارسها الاحتلال ضد المواطنين في هذه الاراضي . ولا ابالغ القول في ان كلمة - مجرد كلمة - "الانتفاضة" ، اصبحت تعني الشيء الكثير بالنسبة للمواطنين ، وسيتداولها الناس في كل بقاع المعمورة - لتصبح كلمة عالمية - للدلالة على مدى اعجابهم وتضامنهم مع نضال الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة .

واذا كانت احداث الاحدى والعشرين سنة الماضية مليئة بالدروس والعبر ، ليس فقط لشعب الارض المحتلة ، وانما لكل اطراف النزاع في المنطقة ، فان الاشهر الاخيرة ، قد اعادت واكدت على ان هذه الدورس والعبر لا بد وان تصل الى نهايتها الحتمة ، بالرغم من كل العراقيل ، في احلال السلام العادل والدائم في المنطقة عبر مؤتمر دولي تحت اشراف الامم المتحدة وبصلاحيات كاملة ، وبحضور جميع الاطراف المعنية بالصراع بما فيها م.ت.ف وعلى قدم المساواة مع الاخرين .

واذا كان الحديث سابقا عن مثل هذا المؤتمر لا يحظى بتأييد غالبية دول العالم ، او يبدى بعضها التردد حياله ، فاننا نلاحظ اليوم ان الغالبية الساحقة من دول العالم تؤيد هذا المؤتمر وتطالب بعقده على وجه السرعة - وهذا يعتبر احد الانجازات السياسية الكبيرة التي حققتها الانتفاضة الحالية - وفقط اسرائيل والولايات المتحدة هما اللتان ترفضان عقده .

Digitized by Birzeit University Library

في هذا المقال ، ربما يكون مفيدا جدا ان استعرض مواقف الدول المختلفة من هذا المؤتمر وطالما اتحدث عن هذا المؤتمر ، باعتباره مؤتمر للسلام في الشرق الاوسط، لا بد من الاشارة الى القاء نظره ولو بسيطة على الجهود المبذولة حاليا من اجل المحافظة على السلم العالمي بشكل عام .

يرتبط مصير البشرية في الوجود على الارض ، ونحن نعيش في الخمس الاخير من القرن العشرين بمسألة صيانة وحفظ السلام العالمي ، وتستطيع البشرية اذا ما وحدت جهودها ، وعملت كل ما في وسعها ، وادركت انه في حالة نشوب حرب نووية عالمية ، لا يمكن ان يكون هناك غالب ومغلوب ان تحقق وتنجز هذه المهمة الجليلة والنبيلة ، ليعيش العالم كله في هدوء وطمأنينة ، وفي عالم خال من كافة انواع اسلحة الدمار .

ان الحفاظ على السلم العالمي يعتبر اليوم الخط الاستراتيجي لمجمل الحركة الثورية العالمية ، ولهذا نرى اتساع صفوف المعارضين للحرب والمؤيدين للسلام على مستوى العالم كله ،وخاصة في دول اوروبا التي شهدت حربين عالميتين ، كانت الامبريالية واطماعها في توسيع نفوذها السبب الرئيسي لهما. ومن هذا المنطلق نستطيع ان نفهم كل الخطوات والمبادرات التي تقدم بها الاتحاد السوفييتي وسائر الدول الاشتراكية في سبيل المحافظة على السلام . ويعتبر توقيع معاهدة وتصفية الاسلحة النووية المتوسطة والقصيرة المدى انجازا تاريخيا حقا ، يجب المحافظة عليه ، وان تتلوه خطوات اخرى لتصفية كافة انواع الاسلحة النووية والكيماوية وغيرها.

وفي خطابه امام الدورة الثانية والاربعين للجمعية العامة للامم المتحدة اعلن وزير الخارجية السوفييتية ادوارد شيفاردنادزه بان "العالم سيقتنع بان السلاح النووي والامن ليسا تعبيرين مترادفين وان الامن سيتعزز حين يختفي هذا السلاح" . ان الاتجاه الجديد في العلاقات الدولية اخذ يشق طريقه رغم كل المعوقات والعراقيل التي تضعها امامه الامبريالية - واصبح يحظى بموافقة وتأييد العديد من الشخصيات الرسمية في الدول الغربية ، ناهيك عن العلماء والخبراء ومختلف الشخصيات الاجتماعية في هذه الدول ، ولعل الحركات السلمية الجماهيرية والديمقراطية الواسعة ، والتي تضم الملايين من مختلف الانتماءات السياسية والفكرية والدينية وغيرها ، هي مؤشر اخر جديد ، يعبر عن رغبة شعوب العالم في العيش بسلام وطمأنينة ، وتستطيع ان تساهم هذه الحركات في انجاز هذه المهمة الملحة ، وليس صدفة ان الحزب الشيوعي السوفييتي في مؤتمره السابع والعشرين اعتبر هذه الحركات فصيلا رابعا من العملية الثورية العالمية.

والمتتبع لسياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية ، يلاحظ ان جهوده منصبه في الحفاظ على السلام العالمي وفي العمل على اخماد بؤر التوتر في العالم ، والتي من الممكن وفي اية لحظة ان تهدد هذا السلام ، وتؤدي الى كارثة نووية مدمرة . ولعل منطقتنا من اكثر القضايا الاقليمية الساخنة ، بل واكثرها تعقيدا وتشابكا ، وبالتالي فان العمل على حل هذه القضية ، اصبح مهمة ضرورية وملحة ، وانجازها بات يتطلب اكثر من اي وقت مضى ، الاسراع في عقد مؤتمر دولي برعاية الامم المتحدة ، وتحضره جميع الاطراف المعنية . والان لنستعرض معا مواقف الدول المعنية بالصراع في المنطقة من هذا المؤتمر لنرى من الذي يريد السلام ويعمل من اجله ؟ ومن الذي يعرقله ويعمل على احباطه؟

الموقف السوفييتي:

قبل البدء في استعراض الموقف السوفييتي لا بد من طرح الاسئلة التالية: هل الموقف والفهم

Digitized by Birzeit University Library

السوفييتي لاحلال السلام في المنطقة عبر مؤتمر دولي يتناقض مع مصالح الشعب الفلسطيني وبقية الشعوب العربية؟ وهل فعلا يريد الاتحاد السوفييتي حل القضية الفلسطينية من وراء ظهر الشعب الفلسطيني كما يزعم اعداء هذا الشعب؟! وهل نظرية تفاهم الشرق والغرب ، او ما يسمى اعادة توزيع مناطق النفوذ بين الدولتين الاعظم صحيحة؟! وهل صحيح ان الولايات المتحدة تنازلت للاتحاد السوفييتي في افغانستان مقابل تنازل الاتحاد السوفييتي لها في قضية الشرق الاوسط؟! هذه وغيرها من التساؤلات المشوهة والمشبوهة التي تروج لها وسائل الاعلام الاسرائيلية والغربية تجاه الموقف السوفييتي وادعائهم كثيرا بان الاتحاد السوفييتي تخلى عن مؤتمر ذي صلاحيات ، وفي احيان اخرى يقولون ان الاتحاد السوفييتي سيعيد علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل قريبا..الخ من هذه الفبركات ، وحتى في الزيارة الاخيرة للوفد الفلسطيني شوهوا هذا الموقف وادعوا ان غورباتشوف دعا عرفات للاعتراف باسرائيل ،مما اضطر عرفات ان يقسم اليمين بان هذا غير صحيح ابدا.

للاجابة على هذه الاسئلة والاقاويل والافتراءات ، لنر ما هي حقيقة الموقف السوفييتي وعلى لسان قادته.

"نزاع الشرق الاوسط نزاع مزمن وقابل جدا للانفجار. وتسويته واحدة من اكبر المهام الدولية".

هذا ما صرح به الزعيم السوفييتي ميخائيل غورباتشوف في اجوبته على اسئلة هيئة تحرير صحيفة "اونيتا" الايطالية في ١٩٨٧/٥/٢٠. ان رؤية الاتحاد السوفييتي لتسوية عادلة في الشرق الاوسط قد جاءت في العديد من مبادراته السلمية والتي حدد من خلالها مباديء هذه التسوية وسبل بلوغها. وتتلخص بنود هذه التسوية والتي عبر عنها الاتحاد السوفييتي امام الوفد الفلسطيني اثناء زيارته لموسكو في السابع من نيسان الماضي بما يلي:

١) الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ وهي الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان السورية.

٢) ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه في تقرير مصيره ، بما في ذلك حقه في اقامة دولته المستقلة الخاصة به.

٣) عقد المؤتمر الدولي تحت رعاية الامم المتحدة ، بحيث يكون اساسه القانوني هو اعتراف جميع الاطراف بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ، ويكون مؤتمر فعال وذو صلاحيات.

هذه هي اهم البنود والخطوط العامة لتسوية سلمية عادلة في الشرق الاوسط ، ولكن الاتحاد السوفييتي لم يكتف بذلك وانما اشار ايضا الى بعض التفصيلات والاجراءات اللازمة من اجل عقد هذا المؤتمر . وهذا يشير الى الجدية الفائقة التي ينظر بها الاتحاد السوفييتي لقضية الشرق الاوسط . ويقول ميخائيل غورباتشوف في كتابه الجديد"اعادة البناء والتفكير الجديد لبلادنا ولكل العالم"والذي خصص فيه فصل كامل عن الشرق الاوسط ما يلي:"عن القضايا الجدية ينبغي التحدث بجدية.الشرق الاوسط هو لفيفة مركبة ومعقدة تتلاقى فيه مصالح دول كثيرة والوضع هناك بقي خطرا. وباعتقادنا ان الخطر هو بالنسبة للشرق والغرب على حد سواء وبالنسبة للعالم برمته" . وطالما الامر - وهو حقيقة - كذلك ، فلن يكون بمقدور اية خطة او مشروع ان يحل هذه اللفيفة المركبة والمعقدة الا مؤتمر دولي حقيقي - وليس استهلاليا - يضم جميع الدول المعنية في هذا النزاع ، وبحضور الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي. ويرى الاتحاد السوفييتي ان دور هذه الدول ينحصر في خلق جو بناء من اجل اجراء المباحثات في المؤتمر . ولهذا الغرض بوسعهم

Digitized by Birzeit University Library

ضمنا تقديم الاقتراحات والتوصيات بصورة جماعية او فردية. ويرى الاتحاد السوفييتي ايضا ان المؤتمر يمكن ان يبحث التدابير والمراحل الوسطية في الطريق الى التسوية الشاملة ولكنها يجب ان تبحث وتنفذ ضمن اطار المؤتمر وبالارتباط مع اهدافه النهائية .

ان الاساس القانوني لهذا المؤتمر ، كما يؤكد الاتحاد السوفييتي هو قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨ واحقاق الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ، ومنها حقه في تقرير مصيره.

ان هذا الطرح وحسب المفهوم الجديد ينبع من ان جميع الدول المعنية بالنزاع الاسرائيلي العربي بما فيها اسرائيل قد وافقت على هذين القرارين. وبقيت م.ت.ف رافضة لهما ، لانهما لم يشيرا لا من قريب او بعيد للحقوق الوطنية والسياسية للشعب الفلسطيني . ومن هنا فان اضافة احقاق الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ، بما فيها حقه في تقرير مصيره ، يرضي م.ت.ف وتوافق على المشاركة في هذا المؤتمر. وبهذا يكون جميع الاطراف المعنية في الحضور الى المؤتمر قد ضمنت مصالحها ، بعد وجود ضمانا دولية لذلك.

بهذا الفهم وهذه الروح العملية لاجراءات عقد هذا المؤتمر ، ينبع موقف الاتحاد السوفييتي ويحظى بتأييد وتطابق وجهة نظره مع م.ت.ف وما يؤكد ذلك هو موافقة الوفد الفلسطيني الذي زار موسكو مؤخرا ، والذي ضم القوى الاساسية في م.ت.ف على هذا الموقف.

الموقف الامريكي:

عند استعراض الموقف الامريكي يتبادر للذهن طرح الاسئلة التالية: ما هي حقيقة الموقف الامريكي؟ وهل فعلا تسعى الولايات المتحدة الى عقد هذا المؤتمر حسب رؤية المجتمع الدولي له؟! وهل الولايات المتحدة حقيقة - كما تزعم ويزعم اتباعها في المنطقة - معنية بالسلام في الشرق الاوسط؟!

حتى اكون منصفا لا بد من قول الحقيقة ، وهي ان الولايات المتحدة وعبر اداراتها المتلاحقة تقف تاريخيا ضد طموحات الشعوب المناضلة من اجل حريتها ، ومن ضمنها حق الشعب العربي الفلسطيني في استقلاله وتقرير مصيره . وهي لا تألو جهدا في التآمر على هذا الشعب وممثله الشرعي والوحيد م.ت.ف

ان الولايات المتحدة ، شأنها في ذلك شان اسرائيل ، تتهرب من فكرة عقد المؤتمر الدولي ، وامام كل فرص سانحة لعقده ، تقوم بطرح مشاريعها وخططها لتكون بديلا له. فالماضي القريب يذكرنا بزيارة السادات الخيانية للقدس وتوقيع اتفاقات كامب ديفيد والتي جاءت مباشرة بعد صدور البيان التاريخي المشترك بين وزيري خارجية الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في مطلع شهر تشرين اول - اكتوبر - ١٩٧٧ ، والذي عرف ببيان فانس - غروميكو ، حيث اشار هذا البيان الى ضرورة عقد مؤتمر دولي لحل النزاع في الشرق الاوسط ، يأخذ بالحسبان حقوق الشعب الفلسطيني في وطن مستقل. وبعد العدوان الاسرائيلي على لبنان ١٩٨٢، والتأييد العالمي الواسع الذي حظيت به القضية الفلسطينية ، قام ريغن بطرح مشروعه المشؤوم في ١٩٨٢/٩/١، معارضا بذلك ارادة المجتمع الدولي لحل القضية الفلسطينية حلا عادلا ، ومعتقدا ان الفرصة الان قد اصبحت مواتية للانقضاض على الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، خاصة بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت.

واليوم وعلى اثر لهيب الانتفاضة الجبارة التي تشهدها المناطق المحتلة ، والتي دخلت شهرها السابع ، يجيء وزير الخارجية الامريكية شولتز للمرة الرابعة و.. لطرح خطته المشبوهة ، في

Digitized by Birzeit University Library

محاولة منه لاجهاض الانتفاضة ومدى تأثيرها على جميع الاصعدة المحلية والعربية والعالمية . ان الولايات المتحدة بافشالها عدة مشاريع قرارات لمجلس الامن الدولي الذي اجتمع اكثر من مرة لبحث الاوضاع في الاراضي المحتلة ، تهدف الى ابعاد فكرة عقد المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الاوسط ، وهي عبر تحركها السياسي في المنطقة ، تسعى وتضغط على اتباعها في المنطقة لعدم القبول بمؤتمر دولي ذي صلاحيات كاملة . ونتيجة للضغط والتأييد العالميين لضرورة عقد المؤتمر ، بدأت الولايات المتحدة تتحدث عنه وتدعو الى عقده على ان يكون مؤتمرا استهلاليا وشكليا تحضره الدول الكبرى لتقوم بشهادة زور ، وبعدها تبدأ المحادثات المنفردة والمباشرة بين اسرائيل والدول العربية . والولايات المتحدة في دعوتها لمثل هذا المؤتمر ، تقف موقف المعارض من مشاركة م.ت.ف ، وهي تصر على ضرورة اعتراف م.ت.ف بقرار ٢٤٢ و ٣٣٨ دون ان يكون هناك اية اشارة الى ضمان حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني.

ان من يدعو الى الحرب لا يمكن ان يكون نصيرا للسلام ويعمل من اجله . لقد قال شولتز في مقابلة له مع اذاعة صوت اميركا في دمشق خلال زيارته الاخيرة للمنطقة "ايدنا خروج اسرائيل الى النور. ان اسرائيل بلد محاط بدول معادية وعليه ان يدافع عن نفسه بخوض الحرب تلو الاخرى".

هذا هو جوهر وحقيقة الموقف الاميركي . والولايات المتحدة لم تتعلم بعد من تجربتها نفسها ، وهي تحاول بكل السبل الاستفراد بحل "سلمي" بعيدا عن ضمان حقوق ومصالح جميع الاطراف المعنية ، ومن الطبيعي ونتيجة لموقفها هذا الذي يتعارض مع منطق التاريخ ان تواجه سياساتها في المنطقة الفشل تلو الاخر وتقع في مأزق لا تستطيع الخروج منه. وفي هذا الصدد يقول غورباتشوف في كتابه الذي اشرت اليه سابقا ما يلي:"الاهم هنا الاخذ بالاعتبار مصالح جميع الاطراف . هذا هو معنى مبادرتنا المطروحة لعقد مؤتمر دولي للشرق الاوسط. وقد ذكرت هذه القضية في مباحثاتي مع جيمي كارتر . عشر سنوات احتاج الامريكيون كي يقتنعوا من تجربتهم الذاتية (مع انه كان بامكانهم استغلال تجربة سابقيهم) ان الصفقات المتفردة لا تثمر لانه لا توجد نتائج للسير في هذا الطريق".

الموقف الاسرائيلي:

الحكومة الاسرائيلية برأسيها الكبيرين - الليكود والمعراخ - ترفض رفضا باتا عقد هذا المؤتمر على اساس قرارات الامم المتحدة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني ، وهي بذلك تضع نفسها في معارضة المجتمع الدولي ، يساعدها في ذلك موقف حليفتها الاستراتيجية للولايات المتحدة الذي اشرنا اليه عاليا

وعلى اثر الانتفاضة الشعبية في الاراضي المحتلة ، والتأييد العالمي الذي احدثته لضرورة عقد المؤتمر الدولي ، بدأ بعض الساسة والوزراء الاسرائيليين يتحدثون عن ضرورة ايجاد حل بشأن "المناطق" كل حسب مفهومه الخاص. فشامير مثلا عندما يتحدث عن مؤتمر دولي يريده ان يعقد على اساس اتفاقات كامب ديفيد ، ويعرب عن استعداده للمشاركة في هذا المؤتمر لبحث مسألة المخيمات الفلسطينية،وسبل تحسين شروط المعيشة فيها في ظل الحكم الذاتي حسب ما جاء في هذه الاتفاقات ، على ان تقوم الدول العربية النفطية بتمويل هذه المشاريع. وزير خارجيته بيرس يريد مؤتمرا دوليا فارغا من مضمونه ، معتمدا في ذلك على خطة شولتز ووثيقة لندن الموقعة بينه وبين الملك حسين واللتين تجاهلتا حقوق الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي والوحيد م.ت.ف وعندما يتحدث

Digitized by Birzeit University Library

المعراخ - والذي يظهر نفسه متحمسا للمؤتمر - وغيره من الاحزاب الصهيونية عن مثل هذا المؤتمر . ومسألة التمثيل الفلسطيني ، فهم يشيرون الى وفد اردني - فلسطيني مشترك ، يضم "الفلسطينيين المعتدلين" في الاراضي المحتلة ولا ينظرون الى بقية شعبنا في الشتات ، معتبرينهم مواطنين في الدول التي يقطنونها.

ان السياسة الاسرائيلية كانت وما زالت تهدف الى التفرقة والتمييز بين ابناء شعبنا الفلسطيني في الداخل والخارج ، وفي نظرها فان المشكلة التي تتطلب حلا هي مشكلة ١٫٥ مليون فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة !

ان اسرائيل عندما تتحدث عن "السلام" فهي تدعو الى ضرورة المباحثات المباشرة . وانا اعتقد ان لا احد يرفض مبدأ الحوار المباشر . اليس عقد المؤتمر الدولي الذي نتحدث عنه هو حوار مباشر بين جميع الاطراف على طاولة مستديرة ؟! ان الذي يرفضه الشعب الفلسطيني وممثله م.ت.ف هو المباحثات المباشرة المنفردة بين اسرائيل وكل دولة عربية على حدة . ان هذا الطريق - وكما بينت تجربة السادات نفسها - لا يمكن ان تؤدي الى السلام العادل والدائم في المنطقة ، وانما المزيد من الحروب وسفك الدماء.

الموقف العربي:

لا شك ان المواقف المختلفة للدول العربية ، مصر ، الاردن ، سوريا ، لبنان ،يضعف من الموقف العربي الموحد تجاه فكرة عقد المؤتمر الدولي بصلاحيات كاملة ، ومرد ذلك ينبع من طبيعة بعض هذه الانظمة ودورها التآمري على حقوق شعبنا المشروعة مثل النظام الاردني والمصري.

ان موقف النظام الهاشمي تاريخيا كان معاديا للشعب الفلسطيني ، وهو يجند كل طاقاته في سبيل حرمان هذا الشعب من ممارسة حقه في تقرير مصيره . ومن هنا نرى ان موقفه واصراره على ان يكون التمثيل الفلسطيني لهذا المؤتمر من خلال الوفد المشترك (اردني - فلسطيني) وعلى اساس القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ نابع من هذا الموقف العدائي السافر تجاه شعبنا. وعلى الرغم من بعض التراجع في تصريحات المسؤولين الاردنيين وعلى رأسهم الملك حسين حول مسألة التمثيل الفلسطيني من المؤتمر ، والتي كانت الانتفاضة السبب المباشر لهذا التراجع ، الا ان حقيقة الموقف الاردني اوضحه شولتز في مقابلته مع اذاعة صوت اميركا حين قال:"ان الملك متجاوب وملتزم . وقد ساعد في بناء مبادرتنا منذ اللحظة الاولى ، وقدم افكارا بعضها معمول بها في المبادرة ، ولديه اسئلة اضافية . ونحن نحاول الاجابة على هذه الاسئلة : انه نشط جدا ، وهو شريك بناء في الجهود الامريكية".

هذا هو المعلن ، فما بالكم بالمخفي؟ بالتأكيد انه اعظم !!

وموقف النظام المصري لا يختلف كثيرا من الموقف الاردني ، بل يمكن اعتباره مكملا له. ولعل موقف مصر من بداية الانتفاضة ووصفها لها بانها "اعمال عنف" يكشف عن الوجه الحقيقي للنظام المصري . ان نظام مصر عندما طرح مبادرته ، وتأييده لخطة شولتز ، كان يهدف وما زال الى ابعاد فكرة عقد المؤتمر الدولي الفعال ذو الصلاحيات ، وهو يعرب عن معارضته لمشاركة م.ت.ف بشكل مستقل اسوة مع بقية الاطراف المعنية ، واخيرا اعلنت مصر عن تحفظها من فكرة الوفد العربي الموحد لهذا المؤتمر ، باعتباره - الوفد الموحد - سوف يعطي الحق لبعض الدول الممثلة فيه ، في ممارسة حق الاعتراض على اي موقف تقبله دولة اخرى ، مما يعني وضع المزيد من العقبات امام حل المشكلة.

ان موقفا عربيا موحدا تجاه فكرة عقد المؤتمر الدولي يقع على عاتق كل من سوريا

Digitized by Birzeit University Library

وم.ت.ف خاصة وان الطرفين قد اكدا على رفضهما لخطة شولتز ، واعلنا تأييدهما لمؤتمر دولي فعال ، كامل الصلاحيات وباشراف الامم المتحدة . ان تعزيز التقارب السوري - الفلسطيني على اسس كفاحية مشتركة قائمة على مبدأ التكافؤ والاحترام المتبادل ، يتطلب منهما اعلى درجات التنسيق ، مستفيدين من زخم الانتفاضة وتصاعدها . انني اعتقد ان القيام بصيغة عمل مشتركة بينهما ، لعرضها على القمة العربية في السابع من هذا الشهر ، بالرغم من كل العراقيل التي تضعها الرجعية العربية - وخاصة النظام الاردني - للحيلولة دون عقد هذه القمة ، من شأنها ان تقطع الطريق على هذه الرجعية ، وتوفر الفرصة لنجاح القمة ، وتعيد الثوابت التي اقرتها القمم العربية المتعاقبة وخاصة قمتي الرباط وفاس ، وترجمة هذه الثوابت وغيرها من القرارات على ارض الواقع ، وبهذا يمكن لهذه القمة نسف كل القرارات التي حاول الملك حسين من خلال قمة وفاقه واتفاقه تجاهل القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة.

ان موقفا عربيا موحدا بخصوص المؤتمر الدولي يخرج من القمة العربية الطارئة والاستثنائية والمخصصة لبحث الاوضاع في الاراضي المحتلة ، من شأنه ان يزيد من عزلة اسرائيل ، ويضطرها في النهاية الى القبول بعقده.

الموقف الفلسطيني:

ان الموقف الفلسطيني تجاه المؤتمر الدولي قد اوضحه العديد من المسؤولين في م.ت.ف واعربوا عن تأييدهم له. وحتى اكون اكثر دقة ، فانني اقتبس ما جاء من قرارات اعلى سلطة سياسية للشعب الفلسطيني وهو المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثامنة عشرة التي انعقدت في الجزائر في نيسان من العام الماضي . حيث جاء في هذه القرارات ما يلي:"ان المجلس الوطني اخذا في الاعتبار قراريرقم ٣٨/٥٨ ورقم ٤٢/٤١، بشأن المؤتمر الدولي وكذلك قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، يؤيد المجلس الوطني الفلسطيني عقد المؤتمر الدولي في اطار الامم المتحدة وتحت اشرافها بمشاركة الدول دائمة العضوية ومشاركة الاطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة، ويؤكد على ضرورة ان يكون للمؤتمر الدولي صلاحيات كاملة".

ان الموقف الفلسطيني تجاه المؤتمر الدولي قد تجلى اكثر ما تجلى بالاضافة الى ما ورد في قرارات المجلس الوطني ، هو في تطابق وجهة النظر الفلسطينية - السوفييتية بخصوص هذا المؤتمر والاجراءات التفصيلية لعقده . ان النتائج السياسية لزيارة الوفد الفلسطيني لموسكو مؤخرا ، والافاق الكبيرة التي خلقتها الانتفاضة امام فرصة عقد المؤتمر الدولي ، قد اعطت سلاحا قويا لقيادة م.ت.ف لتتحرك على جميع المستويات من اجل كسب التأييد العربي والعالمي لمثل هذا المؤتمر

ان الانتفاضة قد اعادت واكدت من جديد على ضرورة تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية في اطار م.ت.ف واقامة تفاعل حي بين الداخل والخارج ، خدمة لاستمراريتها وتصاعدها من جهة ، ولتوفير كافة الفرص من اجل فرض المزيد من العزلة السياسية على حكام اسرائيل ، ليرضخوا في النهاية وينصاعوا لارادة المجتمع الدولي ، في عقد المؤتمر الدولي ، بحضور م.ت.ف على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى.

Digitized by Birzeit University Library

التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي

في الضفة الغربية وقطاع غزة

- د.سمير عبد الله صالح -

رئيس قسم الاقتصاد جامعة النجاح الوطنية / نابلس

مقدمة :

ادى الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة في حزيران ١٩٦٧ ، والذي ما زال مستمرا حتى الان الى تغيرات جوهرية في ظروف تطورهما الاقتصادي . فقد شرعت سلطات الاحتلال في استكمال تنفيذ مشروعها الصهيوني الهادف الى تهميش الوجود المادي والروحي للشعب الفلسطيني . واتبعت من اجل تحقيق ذلك الوسائل المباشرة للسيطرة على موارده المحلية كمصادرة الاراضي والاستيطان والسيطرة على مصادر المياه والطاقة . كما لجأت لاستخدام القيود والتعليمات الادارية للحد من التوسع الزراعي والصناعي وفي مجال البناء السكني والبنية التحتية للاقتصاد . وبالوسائل غير المباشرة عبر فتح المجال امام ارباب العمل الاسرائيليين لاستغلال قوة العمل العربية باجور زهيدة بالمقارنة مع اجور العاملين الاسرائيليين ، ولاغراق السوق الفلسطينية في المناطق المحتلة بمنتجاتهم الجاهزة المتقنة والمدعومة والمتفوقة نسبيا بالمقارنة مع المنتجات العربية بغرض حرمان المنتجين الفلسطينيين من اسواقهم .

ولكن ، وبالرغم من التأثير الكبير للعوامل الجديدة تلك ، التي غيرت بصورة جوهرية في ظروف تطور الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، فليس من الصحيح اعتبار ان

---

* عن مجلة جذور العدد الاول ايار ١٩٨٨ - لندن.

Digitized by Birzeit University Library

التطور والتغيرات الاقتصادية نجمت كليا عن الاحتلال . فسياسة سلطات الاحتلال ، ووسائل تأثيرها المباشرة وغير المباشرة ليست اللاعب الوحيد . فهي تجابه بقوة واصرار من قبل الشعب الفلسطيني الذي يدرك مدى اهمية حفاظه على بناءه الاقتصادي ، واهمية تطويره لهذا البناء كاحد ابرز عناصر التصدي للمشروع الصهيوني . وبناء عليه فان تطور الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة يعتبر محصلة للصراع بين عناصر بناءه المحلية وبين سياسة سلطات الاحتلال بكافة جوانبها . وتجدر الاشارة هنا الى ان العلاقة بين العوامل المختلفة المؤثرة في تطور الاقتصاد الفلسطيني اكثر تعقيدا ، فعلى الرغم من وضوح التناقض بين العوامل المختلفة المؤثرة على المستوى الشامل بين المشروع الصهيوني الذي تنفذه سلطات الاحتلال وبين نقيض هذا المشروع ، الذي يجسد صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته لهذا المشروع ، فان الامر مختلف لدى النظر الى جزيئات العوامل المتناقضة . فعلى سبيل المثال توجد مصلحة لارباب العمل الاسرائيليين لزيادة القوة الشرائية لدى الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة من اجل زيادة مبيعاتهم فيها . ولكن هذا مرهون بتحسن الوضع الاقتصادي في هذه المناطق ، الامر الذي يناقض السياسة العامة لسلطات الاحتلال . كما ان انفتاح السوق الفلسطيني على السوق الاسرائيلية ، رغم ما حمله هذا الانفتاح من اضرار على المنتجين الفلسطينيين ، وارباح لارباب العمل الاسرائيليين ، الا انه فسح المجال امام انتقال بعض انواع التكنولوجيا الى المناطق المحتلة ، وتطوير قوى الانتاج فيها . ويمكن ايراد عشرات الامثلة التي تبين الاوجه المختلفة للعلاقات الناتجة عن تفاعل جزيئات العوامل المؤثرة في تطور اقتصاد المناطق المحتلة .

كما لا يمكن اغفال تأثير العوامل الخارجية ، كالتطور في الاقتصاد الاسرائيلي والتطور في اقتصادات الشرق العربي التي تؤثر بدورها على اقتصاد المناطق المحتلة بدرجات متفاوتة.

ان القصد من تحديد عوامل التأثير على الاقتصاد الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وطبيعة العلاقات بين هذه العوامل في مقدمة هذه الدراسة ، هو من اجل المساعدة في فهم اسباب التطور في الدخل القومي والتغيرات الرئيسية في مصادره . ومن اجل دحض الافتراءات الاسرائيلية التي تنسب لنفسها بعض التطورات المتواضعة التي تمكن الاقتصاد الفلسطيني من تحقيقها في بعض السنوات .

١. تطور الدخل القومي :

يمكن ملاحظة مرحلتين في تطور الناتج القومي الاجمالي بسعر التكلفة (الدخل القومي) للمناطق المحتلة . المرحلة الاولى والتي حقق فيها هذا الناتج معدلات نمو * مرتفعة والتي امتدت خلال النصف الاولى من السبعينات . وقد بلغ معدل نموه في المتوسط ١٤ ـ ١٥٪ سنويا في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة . والمرحلة الثانية التي بدأت فيها معدلات نمو الدخل القومي في الهبوط بشكل مضطرد والتي امتدت منذ منتصف السبعينات حتى الان . ففي النصف الثاني من السبعينات هبطت معدلات النمو الى ٦٪ كمتوسط سنوي في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة . وفي الثمانينات هبطت الى اقل من ١,٥٪ في الضفة الغربية و ٠,٨٪ في قطاع غزة . وقد كانت

* معدل النمو على اساس متوسط التغير خلال عامين

(Two year moving Average) (quantity change)

Digitized by Birzeit University Library

معدلات النمو سالبة خلال ٨٣ - ٨٤ في الضفة الغربية وخلال ٨١ - ٨٢ ، ٨٢ - ٨٣ في قطاع غزة . (١)

تبين المعطيات المتاحة حول الناتج القومي الاجمالي الفلسطيني ٥٥ بسعر التكلفة وبالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ انه ارتفع من حوالي نصف مليار دولار كمتوسط سنوي خلال الفترة ٧٠ - ١٩٧٣ الى ١٠٤٢،٦ مليون دولار خلال الفترة ٨٢ - ١٩٨٥ ٥٥٥ وقد تحققت اعلى نسب ارتفاع في هذا الناتج خلال السبعينات . فكما يتضح من الجدول (١/١) ارتفع الناتج القومي الاجمالي الحقيقي للضفة الغربية من ٣٢٧،٢ الى ٧١٨،١ مليون دولار خلال الفترة المذكورة محققا ارتفاعا بنسبة ١١٩،٥٪، اما في قطاع غزة فقد ارتفع من ١٤٧،١ الى ٣٢٤،٥ مليون دولار ، محققا نسبة ارتفاع بلغت ٨٦،٤٪ لنفس الفترة . اما نسبة الارتفاع في الضفة الغربية وقطاع غزة فقد بلغت ١٠٨٪ . ولو قارنا هذه المعطيات مع اداء الاقتصاد الاردني نلاحظ ان الاخير تفوق بصورة ملحوظة ، اذ انه حقق نسبة ارتفاع في دخله القومي الاجمالي باسعار التكلفة وبالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ بنسبة ١٥٥٪ خلال نفس الفترة ٧٠ - ١٩٧٣ الى ٨٢ - ١٩٨٥ .

الملاحظة الرئيسية الاولى التي تبينها المعطيات السابقة ان معدلات تطور الناتج القومي الاجمالي الفلسطيني تأثرت بصورة مباشرة بسبب الاحتلال ، اذ تخلفت بشكل ملموس عن معدلات تطور الاقتصاد الاردني الذي يعتبر من الاقتصادات العربية المتخلفة والفقيرة ، اضافة الى افتقاره لسياسة تنموية فعالة . والملاحظة الرئيسية الثانية هي تخلف معدلات ونسب النمو في قطاع غزة بالمقارنة مع الضفة الغربية والتي سنلاحظها في كافة المؤشرات الاقتصادية الاخرى .

ومن الجدير بالملاحظة حول معدلات نمو الناتج القومي الاجمالي وفي كافة المؤشرات الاخرى التي سنتناولها في هذه الدراسة ، ان جزء هام من الزيادة التي تحققت في هذه المؤشرات خلال النصف الاول من السبعينات ، لم ينجم في الواقع عن زيادة حقيقية فيها ، وانما نجم عن زيادة ارتباط المواطنين بالسوق وتقلص رقعة الانتاج الطبيعي (الانتاج بغرض الاستهلاك) . بمعنى ان ما لم يكن يدخل في حسابات الدخل القومي سابقا اصبح بعد زيادة الاعتماد على السوق يدخل في هذه الحسابات . وبالتالي فان هذا يقود الى تضخيم ارقام المؤشرات الاقتصادية دون ان يكون ذلك نتيجة لزيادة حقيقية فيها.

جدول رقم ١/١

الناتج القومي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزة والاردن بملايين الدولارات

المتوسط السنوي للفترات المختلفة خلال الفترة ٧٠-١٩٨٥

باسعار التكلفة	باسعار الثابتة لعام ١٩٧٦			
	٧٠-٧٣	٧٤-٧٧	٧٨-٨١	٨٢-٨٥
الناتج القومي الاجمالي في الضفة الغربية	٣٢٧٫٢	٤٨٠٫٢	٦٢٣٫٢	٧١٨٫١
الناتج القومي الاجمالي في قطاع غزة	١٧٤٫١	٢٢٦٫٩	٣١٣٫٩	٣٢٤٫٥
الناتج القومي الاجمالي في الضفة وغزة	٥٠١٫٣	٧٠٧٫١	٩٤٦٫٢	١٠٤٢٫٦
الدخل القومي الاجمالي في الاردن	١٢٠١٫٥	١٥٦٠٫٦	٢٤٣٤٫٦	٣٠٧٢٫٧

٥٥ الناتج القومي الفلسطيني نعني فيه الناتج القومي في الضفة الغربية وقطاع غزة.

٥٥٥ جرى احتساب المتوسط السنوي لفترات من اربعة سنوات من اجل استبعاد تأثير التقلبات الموسمية التي تؤثر بشكل كبير على المؤشرات الاقتصادية ، وذلك بغرض الوصول الى معطيات دقيقة حول حجم واتجاهات التغير في تلك المؤشرات خلال الحقبة الزمنية ١٩٧٠ - ١٩٨٥.

Digitized by Birzeit University Library

احتسب من: ١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي للسنوات ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ١٩٨٧.
٢. المجموعة الاحصائية السنوية الاردنية للسنوات ١٩٧٩، ١٩٨٦.

٢. مصادر الدخل القومي :

للدخل القومي مصدرين رئيسيين هما الناتج المحلي الاجمالي (Gross Domestic Product) ودخل عوامل الانتاج من العالم الخارجي (Factor Payment from Abroad) ، ويشكل هذين المصدرين معا الناتج القومي الاجمالي . وسنتناول بالدراسة تطورهذه المصادر بصورة تفصيلية .

١.٢. الناتج المحلي الاجمالي :

يعتبر الناتج المحلي الاجمالي اهم مصدر للدخل القومي بالنسبة للدول النامية ، التي لا تمتلك عادة استثمارات خارجية ضخمة . ويعتبر الناتج المحلي المقياس الرئيسي للدلالة على حجم القاعدة الانتاجية للدولة ،ومستوى النشاط الاقتصادي فيها بشكل عام . وبقدر ما يتعاظم هذا الناتج وتتحسن بنيته ، بقدر ما تزداد مصادر الدخل على ارضية التطور الاقتصادي المحلي ، وبقدر ما تزداد استقلالية هذا الاقتصاد ويتقلص تأثير التقلبات والعوامل الاقتصادية الخارجية ، التي يصعب التنبؤ بها ، عليه.

وبالنسبة للمناطق المحتلة تكتسب مسألة تطور الناتج المحلي وتزايد دوره كمصدر من مصادر الدخل القومي اهمية استثنائية . حيث ان ذلك يعني بالدرجة الاولى تقليص الاعتماد والتبعية على الاقتصادالاسرائيلي كسوق للايدي العاملة الفلسطينية من جهة،وكمزود للمناطق المحتلة بالمنتجات الجاهزةمن جهة اخرى . وبالتالي تقليص الفوائد الاقتصادية التي يجنيها المحتلون الاسرائيليون جراء استغلالهم للايدي العاملة الفلسطينية الرخيصة وجراء اغراقهم السوق الفلسطينية بالسلع الاسرائيلية . كما ان زيادة الاعتماد على الناتج المحلي كمصدر للدخل القومي يقود الى تقليص تأثر الاقتصاد الفلسطيني بالتقلبات الاقتصادية الحادة التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي ، وتقليص تأثير الانفتاح القائم معه . وتجعل تطوره والتغيرات البنيوية فيه نابعة بالاساس عن ديناميات الداخلية ، وليس تحت تأثير عوامل العرض والطلب الخارجية . اذ ان تطور اقتصاد المناطق المحتلة تحت تأثير العوامل الخارجية ، يقود الى تكييف بنيته بصورة تكون في الغالب غير منسجمة مع مصلحة التطور الاقتصادي والاجتماعي الفلسطينية . الامر الذي يقود الى خلق عراقيل في طريق تطوره الذاتي وتزيد من تبعيته للاقتصاد الاسرائيلي.

لهذه الاسباب سنولي اهمية خاصة لدراسة تطور الناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزة من مختلف الاوجه وبصورة مفصلة .

١.١.٢ - تطور الناتج المحلي الاجمالي :

ارتفع الناتج المحلي الاجمالي بسعر التكلفة في الضفة الغربية وقطاع غزة بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ من ٤١٠,٥ مليون دولار كمتوسط سنوي خلال الفترة ٧٠ - ٧٣ الى ٧٢٤,٤ مليون دولار خلال الفترة ٨٢ - ١٩٨٥ . اي بنسبة ارتفاع بلغت ٧٦,٥٪ ما بين الفترتين .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم ١/٢

الناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزة والاردن بملايين الدولارات
(متوسط سنوي خلال الفترات المختلفة)
(باسعار التكلفة وبالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦)

	٧٠-٧٣	٧٤-٧٧	٧٨-٨١	٨٢-٨٥
الناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية	٢٧٢٫٧	٣٨١٫٨	٤٩٤٫٦	٥٣٧٫٣
الناتج المحلي الاجمالي في قطاع غزة	١٣٧٫٨	١٦٦٫٧	٢٠٨٫٢	١٨٧٫١
الناتج المحلي الاجمالي في الضفة والقطاع	٤١٠٫٥	٥٤٨٫٦	٧٠٢٫٨	٧٢٤٫٤
الناتج المحلي الاجمالي في الاردن	٩٧٩٫٩	١١٥٩٫٣	١٧٥١٫٣	٢١٨٩٫٨

احتسب من المصادر :

١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، للسنوات ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ١٩٨٤.

٢. المجموعة الاحصائية السنوية الاردنية لعام ١٩٧٩، ١٩٨٦ .

وبصورة تفصيلية وكما هو مبين في الجدول رقم ٢/١ ارتفع الناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية من ٢٧٢،٧ الى ٥٣٧،٣ مليون دولار ، وفي قطاع غزة ارتفع من ١٣٧،٥ الى ١٨٧،١ دولار لنفس الفترة . وقد حقق ارتفاعا في الضفة الغربية بنسبة ٩٧٪ في حين بلغت نسبة ارتفاعه في قطاع غزة ٣٥،٨٪ فقط .

يلاحظ هنا ان الفجوة في تطور ناتجهما القومي . وقد ادى هذا الى تردي في نسبة مساهمة قطاع غزة في الناتج المحلي الفلسطيني ، حيث انخفضت نسبة المساهمة هذه من ٣٣،٦٪ خلال الفترة ٧٠ - ١٩٧٣ الى ٢٥،٨٪ خلال الفترة ٨٢ - ١٩٨٥ . ويرجع هذا بشكل رئيسي الى الهبوط المطلق في الناتج المحلي الاجمالي الحقيقي في قطاع غزة خلال الثمانينات . حيث ان مستوياته كانت في الاعوام الثلاث الاخيرة ٨٤ - ١٩٨٦ اقل من مستوى عام ١٩٧٩ .(٢)

ولدى المقارنة بالاقتصاد الاردني يبرز بشكل واضح تخلف نسب نمو الناتج المحلي في المناطق المحتلة . اذ حقق الناتج المحلي الاجمالي الاردني ارتفاعا بنسبة ١٢٣،٥٪ خلال الفترة المدروسة ، اي اكثر من ثلاثة امثال نسبة الزيادة التي تحققت في قطاع غزة .

٢٠١٠٢ - تطور اهمية الناتج المحلي الاجمالي في الدخل القومي :

في ضوء تخلف نسب نمو الناتج المحلي الاجمالي عن نسب نمو الدخل القومي (الناتج القومي الاجمالي باسعار التكلفة) فقد تدنت اهميته بصورة ملموسة كمصدر من مصادر هذا الدخل . فكما يلاحظ من الجدول ٣/١ هبطت مساهمة الناتج المحلي الاجمالي في الناتج القومي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزة من ٨١،٩٪ خلال الفترة ٧٠ - ٧٣ الى ٦٩،٥٪ خلال السنوات ٧٢ - ٨٥ ويلاحظ التفاوت بين الضفة وقطاع غزة بشكل واضح ، اذ كان هبوط نسبة الناتج المحلي الاجمالي الى الناتج القومي الاجمالي في الضفة الغربية معتدلة بالمقارنة مع قطاع غزة . بل وكان الهبوط في هذه النسبة اقل من هبوطها في الاقتصاد الاردني . ان هذه المعطيات توضح حقيقة الاوضاع التي وصل اليها الاقتصاد الغزي الذي بات يعتمد على مصادر خارجية لدخله القومي الى درجة كبيرة جدا بلغت ٤٢،٣٪ خلال السنوات ٨٢ - ١٩٨٥ .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم ٢/١

النسبة المئوية للناتج المحلي الاجمالي الى الناتج القومي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غـــزة والاردن

	٧٠ - ٧٣	٧٤ - ٧٧	٧٨ - ٨١	٨٢ - ٨٥
الضفة الغربيـــــــــة	٨٢ر٣	٧٩ر٥	٧٨ر٣	٧٤ر٨
قطاع غـــــــزة	٧٩ر٣	٧٣ر٥	٦٦ر٤	٥٧ر٧
الضفة الغربية وقطاع غـزة	٨١ر٩	٧٧ر٦	٧٤ر٣	٦٩ر٥
الاردن	٨١ر٦	٧٤ر٣	٧١ر٩	٧١ر٣

احتسب من الجدولين ١/١، ٢/١

٣.١.٢ - تكوين الناتج المحلي الاجمالي:

يتكون الناتج المحلي الاجمالي من مجموع الناتج الاجمالي في كافة فروع النشاط الاقتصادي المحلية ، ودراسة مساهمة فروع النشاط الاقتصادي هذه في تكوين الناتج المحلي تعني دراسة مصادر الدخل القومي المحلية . وتعتمد الاحصاءات الاسرائيلية في تصنيفها لفروع النشاط الاقتصادي على التصنيف المعتمد من قبل الامم المتحدة (UN - A System of National Accounts) مع بعض التعديلات ، حيث في الغالب يجري جمع الفروع (القطاعات) المتقاربة في فرع (قطاع) واحد . وبالتالي تظهر الاحصاءات خمسة فروع (قطاعات) للنشاط الاقتصادي هي الزراعة والصيد والاسماك ، الصناعة (الاستخراجية والتحويلية) ، البناء والاشغال العامة ، الخدمات العامة والاجتماعية ، النقل والتجارة والخدمات الاخرى . وفي اطار هذا التصنيف تحسب خدمات المياه والكهرباء ضمن الخدمات العامة والاجتماعية كما تحسب ملكية المنازل(Ownership of Dwellings) في اطار الخدمات الاخرى .

من التصنيفات الاخرى لفروع النشاط الاقتصادي ، تقسيمها وفق الوظيفة التي تؤديها في المجتمع . وفق هذا التصنيف تبرز ثلاثة قطاعات هي :

- قطاع الانتاج المادي ، او القطاع السلعي ويشمل الزراعة ، الصناعة ، البناء والتشييد ، المياه والكهرباء وفي هذا القطاع تنتج كافة الخيرات المادية (البضائع) للمجتمع.
- قطاع الخدمات السلعية - قطاع التوزيع ويشتمل على النقل والتجارة والتخزين . ووظيفة هذه القطاع توزيع الخيرات المادية ، اي التوسط بين قطاع الانتاج المادي والجمهور . وفي حالة الاقتصاد المفتوح كحالة اقتصاد المناطق المحتلة فان جزء كبير من نشاطه مكرس لتوزيع المنتجات الاسرائيلية .
- قطاع الخدمات ويشتمل على التعليم ، والصحة والرعاية الاجتماعية وخدمات الحكومة الاخرى (الادارة الحكومية المدنية والعسكرية) وخدمات الاعمال مثل (الخدمات المصرفية والعقارية) والخدمات الخاصة وما شابه ذلك .

لا يخلو هذا التصنيف من العيوب ، اذ هنالك بعض الانشطة الاقتصادية يصعب ادراجها في قطاع واحد من القطاعات ، حيث تجمع بين وظيفتين كالتوزيع والانتاج كما هو الحال بالنسبة للمطاعم او الانتاج والخدمات كما هو الحال في تصليح وصيانة الاجهزة الكهربائية والاثاث وما

Digitized by Birzeit University Library

شابه ذلك ، ولكن اعتماد هذا التصنيف وتطبيقه بالنسبة لاقتصاد المناطق المحتلة ذو اهمية كبيرة ، من اجل فهم اسباب وعوامل زيادة او تناقص مصادر الدخل المختلفة .

لو تناولنا التغيرات التي طرأت على مصادر الناتج المحلي الاجمالي (Origin Industrial) في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال العقدين الماضيين والتي يلخصها الجدول رقم ٤/١ نلاحظ ما يلي :

جدول رقم ٤/١

ترتيب ونسبة مساهمة الفروع الاقتصادية المختلفة في تكوين الناتج المحلي الاجمالي مابين (٧٠-١٩٧٢) و (٨٤-١٩٨٦) في الضفة الغربية وقطاع غزة بالنسبة المئوية

المرتبة / الفترة	١	٢	٣	٤	٥
١٩٧٠ - ١٩٧٣	الزراعة ٣٤ر٣	النقل والتجارة والخدمات الاخرى ٢٣ر١	الخدمات العامة والاجتماعية ١٦ر١	البناء والاشغال العامة ٨ر٢	الصناعة ٧ر٩

الفترة	١	٢	٣	٤	٥
	النقل والتجارة والخدمات الاخرى	الزراعة	البناء والاشغال العامة	الخدمات العامة والاجتماعية	الصناعة
١٩٨٤ - ١٩٨٦	٣٥ر٢	٢٢	١٦ر٧	١٦ر٨	٨ر٢

* احتسب من :

١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، الاعداد للسنوات ٧٢، ٧٥، ٧٩، ٨٤، ١٩٨٧.

٢. الاحوال المالية والمصرفية في الضفة الغربية ، قطاع غزة من اعداد جابر محمد بدور، د.عيسى ابراهيم ، اللجنة الاردنية - الفلسطينية المشتركة - الجمعية العلمية الملكية ، حزيران ١٩٨٥ ،

اولا :

هبوط القطاع الزراعي كمصدر من مصادر الناتج المحلي الاجمالي . فقد تدنت مساهمته بشكل ملموس من ٣٤،٣٪ خلال الفترة ٧٠ - ١٩٧٣ الى ٢٢٪ خلال الفترة ٨٤ - ١٩٨٦ . وانتقل فرع الزراعة من المرتبة الاولى في اهميته كمصدر من مصادر الناتج المحلي الى المرتبة الثانية .

ثانيا :

ازدياد اهمية ونسبة مساهمة قطاع البناء الذي ارتفعت مساهمته من ٨،٢٪ خلال الفترة ٧٠ - ١٩٧٣ الى ١٦،٨٪ خلال الفترة ٨٤ - ٨٦ ، وانتقل من المرتبة الرابعة من حيث اهميته كمصدر للناتج المحلي الى المرتبة الثالثة .

ثالثا :

من ابرز المظاهر غير العادية في تكوين الناتج المحلي عدم ازدياد اهميته ونسبة مساهمة قطاع الصناعة الذي ظل يحتل المرتبة الخامسة والاخيرة وتراوحت مساهمته بين ٧،٩ - ٨،٢٪ بين الفترتين.

Digitized by Birzeit University Library

رابعا :

ومن التغيرات الرئيسية في تكوين الناتج المحلي تعمق الطابع الخدماتي لاقتصاد المناطق المحتلة حيث هبطت نسبة مساهمة قطاعات الانتاج المادي "القطاعات السلعية" من ٥٠,٤٪ خلال الفترة ٧٠ - ١٩٧٣ الى ٤٨٪ خلال الفترة ٨٤ - ١٩٨٦ . وقد توسعت على حسابها فروع الخدمات السلعية التي زادت نسبة مساهمتها من ٢٣,١٪ الى ٣٥,٣٪ في نفس الفترة . اما قطاع الخدمات العامة والاجتماعية فقد ظلت نسبة مساهمته راكدة طيلة الفترة .

ان هذه المعطيات العامة عن الضفة الغربية وقطاع غزة معا تخفي في طياتها فروقات ملموسة للتغيرات التي طرات على تكوين الناتج المحلي في كل منهما . ففي الضفة الغربية طرأت تغيرات ملموسة على مكانة ونسبة مساهمة قطاعات الزراعة والتجارة والنقل والخدمات الخاصة فقط . حيث هبطت مساهمة الزراعة من ٣٤,٦٪ خلال الفترة ٧٤ - ١٩٧٧ الى ٢٤,٤٪ خلال الفترة ٨٣ - ٨٦ ، بينما ازدادت نسبة مساهمة القطاع الاخر من ٣١,٩٪ الى ٣٩,٤٪ لنفس الفترة واحتل هذا القطاع المرتبة الاولى من حيث اهميته كمصدر من مصادر تكوين الناتج المحلي الاجمالي في حين تقهقرت الزراعة الى المرتبة الثانية (لاحظ الجدول ٥/١) . ويبرز هنا بصورة واضحة ، وفي ظل ركود تطور نسبة مساهمة القطاع الصناعي ونسبة تطور قطاع البناء تدني نسبة مساهمة قطاعات الانتاج المادي الثلاث (الزراعة ، الصناعة ، البناء) من ٥٦٪ الى ٤٧,٤٪ خلال الفترة ٧٤ - ١٩٧٧ و ٨٣ - ١٩٨٦ .

جدول رقم ٥/١

ترتيب ونسبة مساهمة الفروع الاقتصادية المختلفة في الناتج المحلي الاجمالي للضفة الغربية ما بين ٧٤ - ٧٧ و ٨٣ - ٨٦

المرتبة	١	٢	٣	٤	٥
٧٤ - ١٩٧٧	الزراعة ٣٤ر٦	النقل والتخزين والتجارة ٢١ر٩	البناء والاشغال العامة ١٤ر١	الخدمات العامة ١٢ر١	الصناعة ٧ر٣
١٩٨٣-١٩٨٦	النقل والتخزين العامة ٢٩ر٤	الزراعة ٢٤ر٤	البناء والاشغال العامة ١٥ر٥	الخدمات العامة والاجتماعية ١٣ر٣	الصناعة ٧ر٥

احتسب من: ١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي الاعداد للسنوات ٧٩، ٨٠، ٨٤، ١٩٨٧.
٢. النشرة الاحصائية الربعية للضفة الغربية وقطاع غزة ، مكتب الاحصاء المركزي الاسرائيلي، اعداد مختلفة .

اما في قطاع غزة فقد شهد تكوين الناتج المحلي الاجمالي تغيرات اكثر اتساعا فقد هبطت نسبة مساهمة القطاع الزراعي من ٢٩٪ من الناتج المحلي الاجمالي الى ١٨,٤٪ خلال الفترة المدروسة ٧٤ - ٧٧ و ٨٣ - ١٩٨٦ . وانتقلت من المرتبة الاولى الى المرتبة الرابعة من حيث الاهمية في تكوين هذا الناتج . وعلى حساب الهبوط في القطاع الزراعي ازدادت اهمية قطاع الخدمات العامة والاجتماعية التي اصبحت تحتل المرتبة الاولى وتساهم ب ٢٧,٢٪ من الناتج

Digitized by Birzeit University Library

المحلي الاجمالي . كما ارتفعت نسبة مساهمة قطاع البناء والاشغال العامة من ١٧,٦٪ الى ٢١,١٪ وانتقل هذا القطاع من المرتبة الرابعة الى الثالثة. وسجل قطاع النقل والتجارة والتخزين هبوطا في نسبة مساهمته من ٢٤,٤٪ الى ٢٢,٩٪ في حين سجل القطاع الصناعي ارتفاعا ضئيلا في مساهمته من من ٩,٣٪ الى ١٠,٥٪ ، وظل يحتلان نفس الاهمية (الجدول ٦/١) . وبخصوص نسبة مساهمة قطاعات الانتاج المادي مجتمعة فقد تقلصت ايضا من ٥٥,٩٪ الى ٥٠٪ وازدادت على حسابها اهمية القطاعات الخدمية التي ارتفعت نسبة مساهمتها من ٤٤,١٪ الى ٥٠٪ .

جدول رقم ٦/١

ترتيب ونسبة مساهمة القطاعات الاقتصادية المختلفة في الناتج المحلي الاجمالي لقطاع غزة مابين ٧٤-٧٧ و ٨٢-١٩٨٦

بالنسبة المئوية

المرتبة	١	٢	٣	٤	٥
٧٤ - ٧٧	زراعة	النقل والتجارة والتخزين	البناء والاشغال العامة	الخدمات العامة والاجتماعية	الصناعة
	٢٩	٢٤,٤	١٩,٨	١٧,٦	٩,٣
الفترة	الخدمات العامة والاجتماعية	النقل والتجارة والتخزين	البناء والاشغال العامة	الزراعة	الصناعة
٨٢ - ٨٥	٢٧,٢	٢٢,٩	٢١,١	١٨,٤	١٠,٥

احتسب من: ١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي، اعداد مختلفة
٢. النشرة الاحصائية الربعية للضفة الغربية وقطاع غزة، اعداد مختلفة

بهدف استكمال دراسة تكوين الناتج المحلي الاجمالي ، ومن اجل فهم التغيرات التي طرأت على مصادر الدخل المحلية بصورة دقيقة سنعطي لمحة موجزة عن التغيرات في القيمة المطلقة لهذه المصادر . فكما يظهر في الجدول ٧/١ يتضح ان قيمة الناتج الزراعي المحلي بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ وباسعار التكلفة لم تشهد اي ارتفاع في الضفة الغربية ما بين الفترتين ٧٥ - ٨٧ و ٨٢ - ٨٥ . بينما سجلت انخفاضا كبيرا في قطاع غزة . فقد كان متوسط قيمة الناتج الزراعي المحلي في الضفة الغربية خلال الفترتين في حدود ١٢١ مليون دولار بينما هبط الناتج الزراعي المحلي في قطاع غزة من ٥٢,٧ الى ٣٠,٢ مليون دولار . كما سجلت قيمة الناتج الصناعي في قطاع غزة هبوطا ضئيلا بين الفترتين بينما سجلت ارتفاعا معتدلا في الضفة الغربية . كما ان متوسط قيمة الناتج في قطاعي البناء والتجارة في غزة هبطت عن مستوى السنوات ٨٧ - ٨١ .

اما القطاعات التي حققت زيادة ملموسة في قيمة ناتجها المحلي بين الفترتين فقد كانت في الضفة الغربية على الوجه التالي : الخدمات العامة والاجتماعية بنسبة ٦٧,٥٪ ثم قطاعي البناء والاشغال العامة والنقل والتجارة والخدمات الاخرى بنسبة ٤٨٪ لكل منهما وفي قطاع غزة سجل قطاع الخدمات العامة والاجتماعية اكبر نسبة زيادة في ناتجه المحلي بلغت ٤٦,٢٪ يليه قطاع البناء والاشغال العامة وقطاع التجارة والنقل اللذان حققا نسبة زيادة بلغت ٢٣,٧٪ لكل منهما.

اما قيمة الناتج المحلي الاجمالي لقطاعات الانتاج المادي (الزراعة ، الصناعة والبناء) فقد

Digitized by Birzeit University Library

ارتفعت في الضفة الغربية من ٢١٥،٨ الى ٢٥٥،٨ مليون دولار بينما هبطت في قطاع غزة من ١٠٤،٨ الى ٨٩،٦ مليون دولار . بمعنى ان القاعدة الانتاجية في الضفة الغربية اتسعت بنسبة ١٨،٥٪ في حين واجهت القاعدة الانتاجية في قطاع غزة انحسارا بنسبة ١٤،٥٪ . وكانت محصلة الزيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة ٧،٧٪ فقط بين الفترتين .

جدول رقم ٧/١

المصدر الصناعي للناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزه – بملايين الدولارات بالاسعار الثابته لعام ١٩٧٦ وباسعار التكلفه

الضفة الغربية وقطاع غزة

	الناتج المحلي الاجمالي	القطاع الزراعي	القطاع الصناعي	قطاع البناء والاشغال العامة	الخدمات العامة والاجتماعية	النقل والتجارة والتخزين والخدمات العامة
٧٥ – ٧٨	٥ر٥٧٧	٢ر١٨٣	٣ر٤٥	١ر٩٢	٩ر٨٠	١٧٦
٨٢ – ٨٥	٨ر٧٢٤	١٦١	٥٦	٤ر١٢٨	٣ر١٢٨	١ر٢٥١

الضفة الغربية

٧٥ – ٧٨	٤٠٠	٥ر١٣٠	٨ر٢٦	٥ر٥٨	١ر٤٧	١ر١٣٧
٨٢ – ٨٥	٧ر٥٣٧	٨ر١٣٠	٢ر٣٨	٨ر٨٦	٩ر٧٨	٢٠٣

قطاع غـــزة

٧٥ – ٧٨	٥ر١٧٧	٧ر٥٢	٥ر١٨	٦ر٣٣	٨ر٢٢	٩ر٣٨
٢ ٨٢ – ٨٥	١ر١٨٧	٢ر٣٠	٨ر١٧	٦ر١٤١	٤ر٤٩	١ر٤٨

احتسب من: ١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي – اعداد مختلفة .
٢. النشرة الاحصائية الربعية للضفة الغربية وقطاع غزة، اعداد مختلفة .

في ضوء هذه المعطيات المتعلقة بمصادر الدخل القومي الداخلية نورد الاستنتاجات الرئيسية التالية : –

اولا :

تناقص اهمية المصادر المحلية في الدخل القومي في الضفة الغربية وبصورة اكثر حدة في قطاع غزة .

ثانيا :

ان مصدر هذا التناقص الرئيسي يعود الى ركود معدلات نمو قطاعات الانتاج المادي في الضفة الغربية والنمو السالب في هذه القطاعات في قطاع غزة . وقد ادى هذا الى ركود تطور القاعدة الانتاجية في الاقتصاد الفلسطيني بوجه عام.

ثالثا :

ان النمو في قطاع التوزيع وقطاع الخدمات لم يتحقق على ارضية التطور في القاعدة الانتاجية وانما على ارضية ازدياد التبعية للاقتصاد الاسرائيلي كمورد للسلع الاستهلاكية والخدمات

Digitized by Birzeit University Library

الجاهزة .

رابعا :

ان معدلات نمو الناتج المحلي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزة تخلفت بصورة كبيرة عن معدلات نمو الناتج المحلي الاجمالي في الاردن . وكان من الممكن ان يحقق الناتج المحلي في الضفة الغربية معدلات نمو مساوية او متقاربة مع معدلات نمو الناتج المحلي الاردني لولا وجود الاحتلال الاسرائيلي .

٣. دخل عناصر الانتاج الفلسطينية من الخارج :

يعتبر دخل عناصر الانتاج الفلسطينية من الخارج Factor Payment From Abroad) المصدر الثاني للدخل القومي . ويتكون من دخل العمل وعائد رأس المال العاملين في الخارج . وبخصوص اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة يشكل العمل العنصر الغالب في هذا المصدر . اما عائد رأس المال فلا يشكل عنصرا ملموسا كمصدر للدخل القومي ، بسبب ضعف اهمية الاستثمارات الخارجية لمواطني الضفة الغربية وقطاع غزة . اضافة الى عدم توفر بيانات موثوقة حولها .

بدأ اعتماد الضفة الغربية وقطاع غزة على مصادر الدخل الخارجية بصورة ملموسة قبل عدوان حزيران ١٩٦٧ . وكان للاهمال الكبير الذي عانى منه اقتصاد الضفة الغربية وقطاع غزة ابان الادارتين الاردنية والمصرية دور كبير في هجرة اعداد كبيرة من ايديهما العاملة الى الدول العربية والاجنبية بحثا عن العمل . وقد تركزت اعداد كبيرة من هذه الايدي العاملة في الدول العربية النفطية التي تعاظمت اهميتها الاقتصادية اثر تزايد الطلب على النفط بعيد الحرب العالمية الثانية ، وبعد الاحتلال الاسرائيلي ، تزايدت هجرة الايدي العاملة من الضفة الغربية وقطاع غزة بسبب تزايد تأثير العوامل الطاردة والجاذبة للايدي العاملة الفلسطينية .

العوامل الطاردة للايدي العاملة :

تعاظم تأثير العوامل الطاردة للايدي العاملة بعد الاحتلال الاسرائيلي تحت تأثير السياسة التوسعية الاسرائيلية وتحت تأثير تحويل السوق الفلسطينية الى سوق مفتوحة لعوامل العرض والطلب الاسرائيلية دون قيود . فسياسة مصادرة الاراضي والاستيطان والسيطرة على مصادر المياه والطاقة وعدم تطوير البنية التحتية والخدمات الاساسية بما يتلاءم وحاجات الاقتصاد والمجتمع الفلسطيني شكلت عراقيل كبيرة امام التطور الاقتصادي . كما ادى اغراق السوق الفلسطيني بالمنتجات الاسرائيلية الجاهزة الى دحر المنتج الفلسطيني وتضييق مجال تطوره بسبب المنافسة غير المتكافئة التي فرضت عليه. هذا بالاضافة الى مجمل السياسات المالية التي اتبعتها سلطات الاحتلال . خاصة في مجال الضرائب ، لاعتصار المنتجين والمهنيين الفلسطينيين الذي يؤدي الى تقليص الفائض الاقتصادي وبالتالي تقليص امكانات التراكم الداخلي الضروري للاستثمار والتوسع . اضافة الى ذلك وضعت سلطات الاحتلال تعليمات وقيود ادارية صارمة لتقييد التطور في كافة المجالات الانتاجية ، خصوصا في مجال البناء والصناعة والزراعة . كما وضعت قيود لتقييد التصدير والاستيراد لمنع المنتجين الفلسطينيين من الاستفادة من التجارة الخارجية مع العالم الخارجي .

Digitized by Birzeit University Library

عوامل جذب الايدي العاملة :

في ذات الوقت تزايدت عوامل جذب الايدي العاملة الفلسطينية في سوقين رئيسيين - السوق الاسرائيلي واسواق الدول العربية النفطية .

عوامل الجذب في السوق الاسرائيلية :

وقد تشكلت وتزايدت تحت تأثير العوامل الرئيسية التالية :

٠١ خلق التوسع الاقتصادي الكبير الذي شهده الاقتصاد الاسرائيلي في اواخر الستينات واوائل السبعينات ، والتحولات البنيوية التي شهدها هذا الاقتصاد خلال السبعينات طلبا متزايدا على العمل اليدوي والعمل غير الماهر . فالتوسع الذي حدث في قطاع الانشاءات والبناء بصورة خاصة ولد طلبا كبيرا على الايدي العاملة الفلسطينية غير الماهرة . كما ادت التحولات باتجاه تطوير صناعات التكنولوجيا المتطورة والتكنولوجيا العسكرية بوجه خاص الى جذب الايدي العاملة اليهودية الى تلك الفروع وجرى سد النقص في الايدي العاملة في الفروع الصناعية التقليدية والزراعية والخدمات الذي حدث جراء ذلك بواسطة تشغيل العمال العرب ، ولعب دورا في زيادة الطلب على العمالة العربية ايضا اضطرار اسرائيل للاحتفاظ بجيش كبير لمواجهة احتمالات الحرب على جبهة واسعة .

٠٢ وكان لنهم رجال الاعمال الاسرائيلية على شراء قوة العمل العربية الرخيصة دور كبير في زيادة الطلب على الايدي العاملة العربية . اذ ان التحول في استراتيجية التصنيع الاسرائيلية نحو التكنولوجيا المتقدمة وفروع الصناعة الحديثة وتحول الدعم الحكومي بصورة ملموسة نحو هذه الصناعات قاد الى التدهور النسبي في انتاجية العمل ومعدل الربح في الفروع التقليدية ، الامر الذي اجبر ارباب العمل الاسرائيليين على استخدام الايدي العاملة العربية الرخيصة للتعويض عن انخفاض معدلات ارباحهم من اجل الحفاظ على اعمالهم .

٠٣ اضافة الى ذلك فان سلخ الايدي العاملة العربية عن وسائل انتاجها ، خصوصا من الارض التي تعتبر وسيلة الانتاج الرئيسية في الريف الفلسطيني ، ينسجم تماما مع استراتيجية سلطات الاحتلال التي تهدف الى فصم المواطنين الفلسطينيين عن وسائل انتاجهم المستقلة ، وافقادهم استقلاليتهم ، وتقليص اهتمامهم بالارض كمصدر للدخل ، لتسهيل عملية السيطرة عليها . ويفسر هذا جزئيا سبب فتح المجال واسعا امام استقطاب الايدي العاملة العربية في السوق الاسرائيلي .

عوامل الجذب في الدول النفطية :

ادى ارتفاع اسعار النفط في اعقاب حرب تشرين ١٩٧٣ ، وتعاظم الثروات النفطية العربية ، وتزايد برامج التحديث الاقتصادي والتنمية الاجتماعية بتأثير ذلك في الدول العربية الى زيادة الطلب على الايدي العاملة فيها . خصوصا الايدي العاملة الماهرة والمتوسطة المهارة . وبسبب كون تلك الدول اسواق تقليدية للايدي العاملة الفلسطينية ، فقد شكلت هذه التغيرات في اسواق العمل فيها عوامل جذب قوية للايدي العاملة الفلسطينية من المناطق المحتلة .

Digitized by Birzeit University Library

وكانت سلطات الاحتلال تدرك اهمية الدول العربية ، والنفطية بوجه خاص كسوق للايدي العاملة الفلسطينية . وكان من اهداف سياسة الجسور المفتوحة التي اتبعتها،فتح المجال امام هجرة الايدي العاملة الفلسطينية والمواطنين بوجه عام الى تلك الدول . ولتحقيق هذا الهدف طورت تعليماتها بخصوص تصاريح الخروج والعودة . وكانت تعليماتها تسمح بمرونة كبيرة لتشجيع الهجرة بغرض العمل او الدراسة في الخارج . وانتقلت من التصاريح المحدودة المدة الى التصاريح السنوية القابلة للتجديد ثم الى تصاريح لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد .

تحت تأثير مجمل هذه العوامل الطاردة والجاذبة ، تزايد عدد الايدي العاملة الفلسطينية التي تعمل في اسرائيل والدول العربية النفطية والدول الاجنبية . وتنامت بذلك مصادر الدخل الخارجية لمواطني المناطق المحتلة . فكما يظهر في الجدول ٨/١ ارتفعت قيمة دخل عناصر الانتاج من الخارج بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ في الضفة الغربية من ٤٥،٥ مليون دولار كمتوسط سنوي للفترة ٧٠ - ١٩٧٣ الى ١٨٠،٨ مليون دولار كمتوسط سنوي خلال السنوات ٨٢ - ١٩٨٥ . وفي قطاع غزة ارتفع دخل عناصر الانتاج من العالم الخارجي لنفس الفترة من ٣٦،٣ الى ١٣٧،٤ مليون دولار . ويلاحظ ان معدلات نمو مصادر الدخل الخارجية فاقت بصورة ملحوظة معدلات نمو كافة المؤشرات الاقتصادية الاخرى ، كما يلاحظ ان هذه المعدلات كانت في قطاع غزة اعلى مما هي في الضفة الغربية .

جدول رقم ٨/١

دخـــل عناصر الانتاج الفلسطينية من العالم الخارجي (اسرائيل،الدول العربية والاجنبية) متوسط سنوي خلال الفترات المختلفة ١٩٧٠ - ١٩٨٥

	٧٠-١٩٧٣	٧٤-١٩٧٧	٧٨-١٩٨١	٨٢-١٩٨٥
في الضفة الغربيـــــــة	٥ر٥٤	٨ر٩٨	١ر١٣٨	٨ر١٨٠
في قطاع غـــــــزة	٣ر٣٦	١ر٦٠	٦ر١٠٥	٨ر١٢٧
في الضفة الغربية وقطاع غزة	٧ر٩٠	٥ر١٥٨	٧ر٢٤٣	٢ر٣١٨

احتسب من: ١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي - اعداد مختلفة.
٢. النشرة الاحصائية الربعية للضفة الغربية وقطاع غزة - اعداد مختلفة.

١٠٣ - اهمية المصادر الخارجية في الدخل القومي :

تزايدت اهمية دخل عناصر الانتاج من العالم الخارجي في الدخل القومي بصورة مضطردة . ففي حين كانت نسبته تشكل خلال السنوات (٧٠ - ٧٣) ١٦،٧٪ في الضفة الغربية . ٢٠،٩٪ في قطاع غزة ارتفعت الى ٢٥،٢٪ في الضفة الغربية و ٤٢،٣٪ في قطاع غزة خلال السنوات ٨٢ - ٨٥ (الجدول ٩/١) . وتعكس هذه الارقام درجة التبعية والاعتماد على المصادر الخارجية التي تفاقمت بشكل مقلق خصوصا في قطاع غزة . وتزايد اهمية مصادر الدخل الخارجية في الدخل القومي الى هذه الدرجة لم يكن بسبب تنامي المصادر الخارجية وحسب ، بل وبسبب جمود تطور

Digitized by Birzeit University Library

بل وانخفاض مساهمة المصادر المحلية المطلقة كما لاحظنا لدى دراسة تطور الناتج المحلي الاجمالي في قطاع غزة .

جدول رقم ٩/١

النسبة المئوية لمصادر الدخل الخارجية الى الناتج القومي الاجمالي في الضفة الغربية وقطاع غزة (متوسط سنوي للفترات المختلفة ١٩٧٠ - ١٩٨٥)

	٧٠-٧٣	٧٤-٧٧	٧٨-٨١	٨٢-٨٥
في الضفة الغربية	١٦ر٧	٢٠ر٥	٢١ر٨	٢٥ر٢
في قطاع غزة	٢٠ر٩	٢٦ر٥	٣٣ر٦	٤٢ر٣
في الضفة الغربية وقطاع غزة	١٨ر١	٢٢ر٤	٢٥ر٨	٣٠ر٥

احتسب من: ١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي - اعداد مختلفة .
٢. النشرة الاحصائية الربعية للضفة الغربية وقطاع غزة - اعداد مختلفة .

٢.٣ - مصادر دخل عناصر الانتاج من الخارج :

يمكن تصنيف مصادر دخل عناصر الانتاج من الخارج الى مصدرين رئيسيين : اجور العمال الفلسطينيين من المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل ودخل عناصر الانتاج (عنصر العمل خاصة) من الدول الاخرى .

المصدر الاول - اجور العمال الفلسطينيين العاملين في اسرائيل :

ارتفع عدد العمال الفلسطينيين العاملين في مختلف فروع النشاط الاقتصادي الاسرائيلي بشكل ملحوظ خلال سنوات الاحتلال الاول ، حيث وصل هذا العدد عام ١٩٧٤ الى ٤٢,٤ الف من الضفة الغربية وظل هذا العدد دون هذا الرقم حتى عام ١٩٨٢ حيث بدأ بالارتفاع من جديد حتى وصل الى ٥١,٣ الف عام ١٩٨٦ . اما في قطاع غزة فقد تزايد عدد العاملين منها في اسرائيل بشكل مضطرد . فقد ارتفع من ٥,٩ الف عام ١٩٧٠ الى ٤٣,٤ الف عام ١٩٨٦ .(٣) ورافق تزايد اعداد العاملين العرب في اسرائيل زيادة في قيمة اجورهم،فقد ارتفعت هذه القيمة بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ من ٥١,٣ مليون دولار كمتوسط سنوي خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ الى ٩٤,٩ مليون دولار كمتوسط سنوي للفترة ١٩٨٢ - ١٩٨٥ في الضفة الغربية وفي قطاع غزة ارتفعت قيمة اجور العاملين في اسرائيل من ٢٩,٣ الى ٧٠,٢ مليون دولار كمتوسط سنوي لنفس الفترات المذكورة . اما نسبة هذه الاجور الى اجمالي دخل عناصر الانتاج من العالم الخارجي فقد هبطت من ٩٣,٩٪ خلال الفترة ٧٠-٧٣ الى ٥٢,٥٪ خلال الفترة ٨٢ - ٨٥ في الضفة الغربية ، وفي قطاع غزة هبطت هذه النسبة من ٨٠,٧٪ الى ٥١,١٪ بين الفترتين المذكورتين (الجدول ١٠/١). واذا اخذنا بالاعتبار حجم المقتطعات من اجور العاملين في اسرائيل والتي تراوحت بين ١٠٪ خلال الفترة ٧٠ - ٧٥ و ١٥٪ خلال الفترة اللاحقة (٤) العاملين لا يستفيدون من هذه المقتطعات.

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم ١/١٠

اجور العاملين في الضفة الغربية وقطاع غزة في اسرائيل ونسبة اجمالي الاجور (المئوية) الى مصادر الدخل الخارجية في كل منهما

		٧٠-٧٣	٧٤-٧٧	٧٨-٨١	٨٢-٨٥
الضفة الغربية	اجور العاملين في اسرائيل	٥١ر٢	٦٧ر	٦٩	٩ر٩٤
	٪ من المصادر الخارجية	٩٣ر٩	٦٨ر٥	٥٠	٥٢ر٥
قطاع غزة	اجور العاملين في اسرائيل	٢٩ر٣	٤٦ر٨	٦٣ر	٧٠ر
	٪ من المصادر الخارجية	٨٠ر٧	٧٧ر٩	٥٩ر٩	٥١ر١

* اجور العاملين احتسبت على اساس الاجر اليومي بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ x ٢٨٨ (عدد ايام العمل في السنة) x عدد العاملين في تلك السنة.

x احتسبت من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي، اعداد مختلفة.

ويرجع سبب تناقص اهمية اجور العاملين في اسرائيل في المصادر الخارجية الى تزايد مصادر الدخل في العالم الخارجي، خصوصا في الدول النفطية الذي نجم عن زيادة عدد العاملين من المناطق المحتلة العاملين في تلك الدول ومن التحسن الجوهري في اجورهم الحقيقية خصوصا خلال النصف الثاني من السبعينات وبداية الثمانينات، هذا في الوقت الذي ظل فيه الاجر الحقيقي للعاملين في اسرائيل بدون تغيرات جوهرية طيلة الفترة المدروسة. حيث ان متوسط الاجر اليومي الحقيقي باسعار عام ١٩٧٦ خلال السنوات ١٩٧٠ - ١٩٧٣ بلغ ٦,١٧٥ دولار وخلال الفترة ٨٢ - ٨٥ بلغ ٧ دولارات فقد في الضفة الغربية بينما سجل في قطاع غزة لنفس الفترة هبوطا من ٧,٣ الى ٦,٢ دولار. (٥)

المصدر الثاني: دخل عناصر الانتاج من الدول الاخرى *:

تزايد صافي دخل عناصر الانتاج من الدول الاخرى بتسارع كبير خلال سنوات السبعينات ونما بمعدلات معتدلة خلال الثمانينات. ففي الضفة الغربية ارتفعت من ٣ر٣ مليون دولار بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ كمتوسط سنوي للفترة ٧٠ - ٧٣ الى ٩ر٨٥ مليون دولار خلال الفترة ٨٢ - ٨٥. وتزايدت نسبته في اجمالي المصادر الخارجية للدخل القومي من ١ر٦٪ الى ٥ر٤٧٪ ما بين الفترتين. وفي قطاع غزة ارتفع من ٧ الى ٢ر٦٧ مليون دولار. وتزايدت مساهمته من ٣ر١٩٪ الى ٩ر٤٩٪.

---

* هناك صعوبة كبيرة في الوصول الى ارقام دقيقة حول دخل عناصر الانتاج من الدول الاخرى (باستثناء اجور العمال من المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل) وذلك بسبب عدم استخدام القنوات المصرفية التي تقوم عادة بتقديم بيانات حول هذا البند. وتعتمد اجهزة الاحصاء الاسرائيلية في تقديرها على الطرق الحسابية. حيث تتوصل الى قيمتها من خلال طرح الناتج المحلي الاجمالي باسعار السوق من الناتج القومي الاجمالي باسعار السوق الذي تتوصل اليه عن طريق جمع استخدامات الدخل القومي في (الاستهلاك، الاستثمار، الاتفاق الحكومي، صافي الصادرات).

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم ١/١١

نسبة تطور دخل عناصر الانتاج من الدول الاخرى في الضفة الغربية وقطاع غزة بملايين الدولارات بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦

		٧٠-٧٣	٧٤-٧٧	٧٨-٨١	٨٢-٨٥
الضفة الغربية	الدخل من الدول الاخرى	٢ر٣	٣١	١ر٦٩	٩ر٨٥
	نسبته ٪ من المصادر الخارجية	١ر٦	٣١	٥٠	٥ر٤٧
قطاع غزة	الدخل من الدول الاخرى	٧	١٣	٤ر٤٢	٢ر٦٧
	نسبته ٪ من المصادر الخارجية	٢ر١٩	١ر٢٢	١ر٤٠	٩ر٤٩

احتسب من: كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي - اعداد مختلفة.

ويلاحظ ان اهمية دخل عناصر الانتاج من الدول الاخرى تزايدت خلال السبعينات ثم تناقصت خلال الثمانينات في الضفة الغربية . فكما يظهر في الجدول ١١/١ هبطت نسبته من اجمالي دخل عناصر الانتاج من الخارج ٥٠٪ خلال الفترة ٧٨ - ٨١ الى ٥ر٤٧٪ خلال الفترة ٨٢ - ٨٥ في الضفة الغربية.كما تدنت معدلات تزايد اهميته في قطاع غزة خلال الثمانينات بالمقارنة مع السبعينات . ويعود سبب ذلك الى تأثر المناطق المحتلة بالهبوط الاقتصادي الذي حدث في الدول العربية النفطية خلال الثمانينات الذي نجم عن هبوط اسعار النفط وحالة عدم الاستقرار والتيقن في تلك الدول تحت تأثير الحرب العراقية الايرانية .

٤. تطور دخل الفرد:

ان النمو الاقتصادي ليس هدفا في حد ذاته ، وانما وسيلة لتحسين مستوى المعيشة. لذا فان الارقام المطلقة للدخل القومي ومصادره ومعدلات نموه لا توضح في حد ذاتها الى اي مدى اتاح تطور هذا الدخل مجالا لتحسين مستوى المعيشة. كما انها لا تسمح بعقد مقارنات صحيحة مع الدول الاخرى. فحجم الدخل القومي يتأثر بصورة مباشرة بموارد الدولة وعدد السكان . اما معدلات النمو فتتأثر بصورة مباشرة بكفاءة استخدام الموارد الاقتصادية والبشرية وبالسياسة الاقتصادية المسيطرة وبغيرها من العوامل . كما تتأثر معدلات النمو بالمرحلة التي وصل اليها الاقتصاد ايضا. فالاقتصاد المتخلف ، الذي يتميز عادة بوجود موارد مادية وبشرية غير مستغلة ، قد يحقق في حالة زج هذه الموارد في النشاط الاقتصادي قفزات في معدلات النمو. بينما في الاقتصاد الصناعي المتطور، لا يمكن تحقيق مثل هذه القفزات بسبب انعدام او محدودية حجم الموارد غير المستغلة ، وفي ذات الوقت فان تحقيق نفس معدلات النمو في بلدان ذات خصائص متمايزة ، لا يعني بالضرورة تساوي معدلات التغير (الزيادة او الهبوط) في مستوى المعيشة. فمعدل نمو معين في الدخل القومي على سبيل المثال ، في بلدين متمايزين من حيث معدل الزيادة السكانية يحقق معدل نمو مختلف في دخل الفرد. ويكون الفرق بين معدلات نمو دخل الفرد هذا مساويا للفرق بين معدلات نمو السكان فيهما . لذا وبغرض معرفة تأثير الاحتلال على مستوى معيشة الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة ، لا بد من دراسة الناتج القومي الاجمالي للفرد والناتج المحلي الاجمالي للفرد. ودراسة هذه المؤشرات تتيح امكانية المقارنة مع الدول الاخرى. وسنعطي اهمية لمقارنة هذه المؤشرات بمثيلتها في الاردن . اذ اننا نفترض ان دخل الفرد من الناتج القومي والناتج المحلي في الضفة الغربية كان من الممكن ان يتطور بشكل مختلف لتطوره في

Digitized by Birzeit University Library

الاردن لو لم يجر احتلالها من قبل اسرائيل.

١٠٤ - الناتج القومي الاجمالي للفرد:

ارتفع الناتج القومي الاجمالي للفرد في المناطق المحتلة ما بين الفترة ٧٠ - ١٩٧٣ والفترة ٨٢ - ٨٥ بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ من ٤٩٢ر٤ الى ٨١٢ر٢ دولار. وقد كان تطور هذا المؤشر متفاوتا في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة فكما يظهر في الجدول رقم ١٢/١ ارتفع الناتج القومي الاجمالي للفرد في الضفة الغربية لنفس الفترة من ٥١٨ الى ٩١٩ دولار ،مسجلا نسبة ارتفاع بلغت ٤ر٧٧٪ بينما ارتفع من ٤٥٠ الى ٦٤٩ دولار في قطاع غزة ، وكانت نسبة الزيادة ٤٤٪ . ولدى مقارنة الناتج القومي للفرد في الضفة الغربية وقطاع غزة مع الناتج القومي للفرد في الاردن نلاحظ التفوق الكبير الذي احرزه الاقتصاد الاردني الذي ارتفع فيه دخل الفرد من ٧.٧ الى ١٢١٠ دولار لنفس الفترة.

جدول رقم١٢/١

الناتج القومي الاجمالي للفرد في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة والاردن

بالدولارات

بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦

	٧٠-٧٣	٧٤-٧٧	٧٨-٨١	٨٢-٨٥
الضفة الغربية	٥١٨	٧٠٦	٨٧٧	٩١٩
قطاع غزة	٤٥٠	٥٢٧	٦٨٥	٦٤٩
الضفة الغربية وقطاع غزة	٤٩٢	٦٢٦	٨٠٣	٨١٢
الاردن	٧٠٧	٧٩٤	١٠٩٣	١٢١٠

* احتسب من :

١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي . اعداد مختلفة .

٢. المجموعة الاحصائية السنوية الاردنية للاعوام ١٩٧٩ ، ١٩٨٦

٢٠٤ - الناتج المحلي للفرد :

ارتفع المتوسط السنوي للناتج المحلي الاجمالي للفرد في الضفة الغربية وقطاع غزة بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ من ٤٠٤ الى ٥٦٤ دولار ما بين الفترة ٧٠ - ٧٣ و ٨٢ - ٨٥ . ويبرز التفاوت في هذا المؤشر بين الضفة الغربية وقطاع غزة بصورة سافرة ، اذ في الوقت الذي حقق زيادة من ٤٣٣ الى ٦٨٧ دولار في الضفة الغربية فقد حقق انخفاض من ٣٧٥ الى ٣٤٧ دولار في قطاع غزة لنفس الفترة . وقد حقق الناتج المحلي الاجمالي للفرد في قطاع غزة خلال السبعينات زيادة ملموسة اذ بلغ متوسطه السنوي ٤٥٥ دولار خلال الفترة ٧٨ - ٨١ الجدول رقم (١٤/١) .

Digitized by Birzeit University Library

جدول رقم ١/١٤

الناتج المحلي الاجمالي للفرد في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة والاردن

بالدولارات

بالاسعار السابقة لعام ١٩٧٦

	٧٠-٧٣	٧٤-٧٧	٧٨-٨١	٨٢-٨٥
في الضفة الغربية	٤٣٣	٥٦١	٦٨٦	٦٨٧
في قطاع غزة	٢٧٥	٣٨٧	٤٥٥	٣٤٧
في الضفة الغربية وقطاع غزة	٤٠٤	٤٩٤	٥٩٦	٥٦٥
في الاردن	٥٧٧	٥٦٥	٧٨٨	٨٦١

احتسب من :

١. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، اعداد مختلفة .

٢. المجموعة الاحصائية السنوية الاردنية للاعوام ١٩٧٩ ، ١٩٨٦ .

الا انه تراجع بشكل سريع الى اقل من المستوى الذي كان عليه في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ .

ونلاحظ هنا ايضا ان الناتج المحلي الاجمالي للفرد في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة قد تخلف عن مستويات ارتفاع الناتج المحلي الاجمالي للفرد في الاردن ، الذي ارتفع من ٥٧٧ الى ٨٦١ دولار بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ لنفس الفترة . كما انه تخلف عن مستويات ارتفاع الناتج المحلي الاجمالي للفرد في معظم الدول العربية . فكما يظهر في الجدول ١٣/١ ، كان الناتج المحلي الاجمالي للفرد عام ١٩٨٤ في كل من سوريا وتونس اعلى منه بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة . كما ان الناتج المحلي الاجمالي للفرد في مصر كان اعلى مما هو في قطاع غزة .

جدول رقم ٥/١

الناتج المحلي الاجمالي للفرد في الضفة الغربية وقطاع غزة وبعض الدول العربية بالدولار وبالاسعار الجارية

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨٤
الضفة الغربية	٢٠٦	٥٦٨	٧١٥	١٠٤٤	٧٤٨ر٧
قطاع غزة	١٤١	٢٢٤	٥٢٤	٦٤٦	٤١٨ر٦
الاردن	٢٩٩	٤٥٥	١٠٩٩	١٣٢٧	١١١٩ر٧
سوريا	٢٨٦	٧٥٢	١١٥٨	١٤٣٧	١٩١١ر٧
مصر	٢١٧	٣٦٠	٤٣٥	..	٦٩٣ر٤
المغرب	٢٥١	٥١٩	٨١٧	٨٨٧	..
تونس	٢٨٢	٧٧٤	١١٦٣	١٣٧٠	٩٦٤

احتسب من: ١. الكتاب السنوي للحسابات القومية / الامم المتحدة لعام ١٩٨٠، ١٩٨١.

٢. التقرير الاقتصادي العربي الموحد، لعام ١٩٨٥.

٣. كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي - اعداد مختلفة .

Digitized by Birzeit University Library

كما كانت معدلات نمو الناتج المحلي للفرد في المناطق المحتلة اقل مما حققته الدول النامية . فقد حققت الاخيرة كمجموعة نموا متواضعا في ناتجها المحلي للفرد بلغ ٢,٠٥٪ كمتوسط للفترة ٧٩ - ١٩٨٥ (٦) ، في حين كان نمو هذا المؤشر سالبا بلغ - ٢,٣٪ سنويا في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد كان الهبوط في قطاع غزة اكثر حدة .

على الرغم من وضوح دلالة ارقام الناتج القومي الاجمالي للفرد والناتج المحلي الاجمالي للفرد في الضفة الغربية وقطاع غزة بالمقارنة مع الاردن والدول العربية والنامية الاخرى ، الا انها مع ذلك لا تعطي الحقيقة بشكل كامل . اذ ان جزء كبير من الزيادة التي تحققت في الناتج المحلي الاجمالي ، او الناتج القومي الاجمالي للفرد يرجع الى الانخفاض الكبير في معدلات نمو السكان تحت تأثير الاحتلال . فمعدل النمو السكاني بلغ خلال السبعينات واوائل الثمانينات نصف المعدل الممكن(Potential) . فقد كان في الضفة الغربية خلال الفترة ١٩٧٠ - ١٩٨٢ ١,٧٪ في المتوسط . وارتفع خلال الفترة ٨٣ - ٨٦ الى ٢,٧٪ .

اما في قطاع غزة فقد بلغ ٢,٦٪ خلال الفترة ٧٠ - ٨٢ و ٣,٤٪ خلال الفترة ٨٣ - ١٩٨٦ .(٧)

ولو حاولنا تقدير حجم الهجرة السكانية بالاستناد الى احصاء السكان في ايلول ١٩٦٧ (٨) ، وبافتراض نسبة زيادة سكانية ٣ ، فان عدد الذين هاجروا في الفترة (١٩٦٨ - ١٩٨٥) من الضفة الغربية يقدر ب ٢١٢ الف ومن قطاع غزة ١٤١ الف . ولكن على الارجح ان معدل الزيادة السكانية اعلى من هذا الافتراض . فقد بلغت هذه النسبة فعليا ٣٪ في الضفة الغربية ووصلت ٣,٧٪ في قطاع غزة في بعض السنوات رغم استمرار ظاهرة الهجرة (٥) ، ولو اعتمدنا تقدير ٣,٥٪ كمعدل للزيادة السكانية فان عدد الذين هاجروا من الضفة الغربية يرتفع الى ٣١١ الف ، بينما يرتفع في قطاع غزة الى ٢٠٥ الف . اي ان المناطق المحتلة فقدت سنويا ٢٧ الف مواطن.

وفقا لاي من التقديرات السابقة ، فان المناطق المحتلة فقدت اعداد كبيرة جدا من سكانها تحت تأثير سياسة سلطات الاحتلال المثابرة على تضييق نطاق التطور الاقتصادي فيها . وبسبب ظاهرة الهجرة الواسعة هذه فقد تضخمت ارقام الناتج القومي الاجمالي للفرد والناتج المحلي الاجمالي للفرد بصورة مصطنعة خصوصا خلال السبعينات . ويتضح تأثير الهجرة على هذه المؤشرات بشكل ملموس خلال الثمانينات ، حيث ادى تقليص معدلات الهجرة السكانية الى هبوط في القيمة المطلقة الحقيقية للناتج المحلي للفرد في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة .

ومن المسائل الاخرى التي ينبغي التنبه لها لدى مقارنة دخل الفرد في المناطق المحتلة مع دخل الفرد في الدول النامية الاخرى ، انه جرى تحت تأثير دمج الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الاسرائيلي تسريع دخول العلاقات النقدية البضاعية الى الريف ، وتقليص رقعة الاقتصاد الطبيعي (الانتاج والاستهلاك المباشر في نطاق الاسرة الريفية) وبالتالي تقليص متسارع لنطاق ذلك الجزء من الانتاج القومي الذي لا يدخل في الحسابات القومية عادة . ولهذه الظاهرة تأثير على تضخيم قيمة الناتج المحلي دون ان يكون ذلك مرتبط بزيادة حقيقية في هذا الناتج كما سبق واشرنا .

• معدل الزيادة السكانية في سنوات مختارة بالنسبة المئوية .

Digitized by Birzeit University Library

	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦
في الضفة الغربية	٣	٣ر٧	٣	٣ر٨	٣ر٨	٣ر٥
في قطاع غزة	٣ر٧	٣ر١	٣ر٦	٣ر١	٣ر٤	٣ر٤

كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ـ عدد ٣٨، لعام ١٩٨٧، ص ٧٠١

خلاصة

بأقل قدر من الكلمات ، يمكن تحديد التغيرات الرئيسية في مصادر الدخل القومي ودخل الفرد في الضفة الغربية وقطاع غزة تحت تأثير الاحتلال الاسرائيلي وما رافقه من تغيرات في ظروف التطور الاقتصادي في النقاط الرئيسية التالية :

١- ان معدلات النمو المرتفعة التي تحققت في الناتج القومي الاجمالي ودخل الفرد خلال السنوات الاولى بعد الاحتلال نجم جزئيا عن انحسار رقعة الاقتصاد الطبيعي ، وزيادة الاعتماد على السوق التي تسارعت بصورة ملموسة تحت تأثير ظروف التطور الجديدة .

٢- ادت سياسة سلطات الاحتلال التوسعية الاستيطانية ، وتحويل المناطق المحتلة الى سوق حرة لارباب العمل الاسرائيليين الى استنفاذ سريع لمصادر تطور الدخل القومي المحلية (الناتج المحلي الاجمالي) ، الامر الذي برز في تباطؤ معدلات نمو الناتج المحلي خلال النصف الثاني من السبعينات والنمو السلبي لهذا الناتج خلال الثمانينات . ونتيجة لذلك تراجعت اهمية مصادر الدخل المحلية في الدخل القومي .

٣- كانت قطاعات الانتاج المادي اكثر مصادر الدخل القومي المحلية تأثيرا بالاحتلال الاسرائيلي . وظهر ذلك في تدني مساهمة هذه الفروع في الناتج المحلي الاجمالي بشكل مضطرد . وكان القطاع الزراعي اكثر قطاعات الانتاج المادي تضررا .

٤- تزايدت اهمية مصادر الدخل القومي الخارجية بشكل ملموس كمحصلة لجمود تطور المصادر المحلية ، وازدياد اعتماد القوى العاملة الفلسطينية على سوق العمل الاسرائيلي وسوق العمل في الدول العربية والاجنبية الاخرى . وفي حين ترجع الزيادة في دخل عناصر الانتاج (العمل) من الدول الاخرى (عدا اسرائيل) الى زيادة اجورهم الحقيقية خصوصا خلال النصف الثاني من السبعينات ، فان زيادة دخل العاملين في اسرائيل ترجع الى زيادة عددهم فقط . اذ ان الاجور الحقيقية ظلت ثابتة تقريبا منذ اوائل السبعينات وحتى الان ، بل انها هبطت خلال السنوات الاخيرة .

٥- تأثر دخل عناصر الانتاج الفلسطينية من الدول الاخرى (عدا اسرائيل) خلال السنوات

Digitized by Birzeit University Library

الاربع الاخيرة تحت تأثير هبوط اسعار النفط والحرب العراقية - الايرانية ، وتردي ظروف العمل في الدول النفطية بوجه عام ، الامر الذي بين حساسية الاقتصاد الفلسطيني للتطورات الاقتصادية في تلك الدول .

٦- كان تطور دخل الفرد الذي يعتبر من اهم المؤشرات عل تطور مستوى المعيشة في المناطق المحتلة بمعدلات اقل من تطور دخل الفرد في الاردن والدول العربية والنامية الاخرى . كما ان دخل الفرد في المناطق المحتلة شهد هبوطا في قيمته المطلقة خلال السنوات الاخيرة ، خصوصا في قطاع غزة الذي اصبح يصنف ضمن اكثر مناطق العالم تخلفا من الناحية الاقتصادية .

الهوامش :

١) احتسبت هذه الارقام من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي للسنوات ١٩٧٣ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٧ .

٢) بلغ الناتج المحلي الاجمالي في قطاع غزة خلال الفترة ١٩٧٩ - ١٩٨٦ ، بالاسعار الثابتة لعام ١٩٧٦ وبأسعار التكلفة كما يلي : -

١٩٧٦	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦*
٢٢٤	١٩٢	٢١١	٢٠٦	١٩٥	١٨٨	١٥٩	١٧٦

* تقدير

احتسب من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، الاعداد ١٩٨٤ ، ١٩٨٧ .

٣) كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، العدد ٣٨ ، لعام ١٩٨٧ ، ص٧٤٢ .

٤) عاروري ، تيسير ، المقتطعات من اجور عمال الضفة الغربية وقطاع غزة العاملين في اسرائيل ، الكاتب ، العدد ٨٦ ، حزيران ١٩٨٧ .

٥) كان تطور الاجر الحقيقي للعاملين الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة في اسرائيل بالدولارات وبأسعار ١٩٧٦ الثابتة عل الوجه التالي :

(متوسط الاجر اليومي في الفترات المختلفة)

٧٠ - ١٩٧٣	٧٤ - ١٩٧٧	٧٨ - ١٩٨١	٨٢ - ١٩٨٥
٦٫٧٥	٦٫٠٤	٦٫٢٦	٦٫٦

* احتسب من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيل ، اعداد مختلفة .

٦) World Economic Outlook , A survey by staff of the IMF, April 1987. pp. 122 - 123

٧) كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ، العدد ٣٨ ، لعام ١٩٨٧ ، ص٧٠١ .

٨) قامت سلطات الاحتلال في سبتمبر ١٩٦٧ باجراء اول تعداد للسكان في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ووفق هذا التعداد بلغ عدد مواطني الضفة الغربية ٥٨٥٠٩ الف نسمة وعدد مواطني قطاع غزة ٣٨٠٠٨ الف نسمة .

Digitized by Birzeit University Library

تجربة الحركة العمالية والنقابية

في الشطر الجنوبي من اليمن قبل الاستقلال

د. زياد ابو عمرو / جامعة بيرزيت

تكتسب دراسة تاريخ الحركة العمالية النقابية في اليمن الديموقراطي قبل الاستقلال اهمية خاصة لتجربتها المميزة وللدور الهام الذي لعبته في تاريخ البلاد ، اذ انها استطاعت ان تربط بنجاح بين مهمات النضال الوطني التحرري ومهمات النضال الاجتماعي في آن واحد. قامت هذه الحركة بالاسهام بفعالية في انجاز الاستقلال الوطني وفي تهيئة المناخ لانطلاقة الثورة الاجتماعية بعد الاستقلال. وليس هناك من شك في ان الحركة العمالية والنقابية في اليمن الديموقراطي قد لعبت دورا سياسيا فاق الدور الذي لعبته هذه الحركة في اي قطر من الاقطار العربيةالاخرى. فقد احتلت موقعا مركزيا ليس فقط في الحياة الاقتصادية ولكن ايضا ، وبنفس الدرجة من الاهمية ، في الحياة السياسية للبلاد. ويشار الى الحركة العمالية والنقابية على انها اهم ظاهرة عرفتها عدن بعد الحرب العالمية الثانية(١) وقد كان ذلك ممكنا بسبب وجود ميناء عدن ومصفاتها وكذلك الوجود البريطاني في البلاد والتي قامت الحركة العمالية بمقارعته.

البدايات

بدأ النشاط العمالي والنقابي في عدن من خلال النوادي والجمعيات . فقد تأسس في عام ١٩٣٥ مثلا "جمعية للنجارين" قامت هذه الجمعية بتقديم المساعدة لاعضائها في حالات العوز او تعرضهم للاصابات او الموت. وفي عام ١٩٣٩ تأسست جمعية عمالية اخرى هي "الصلاوية" وتلى ذلك تأسيس المزيد من الجمعيات كنادي لحج للشباب والعمال (١٩٤٩) ، جمعية عمال الفحم ، وجمعية عمال الملح (١٩٥٠) وجمعية العمال الانجلو - ايرانية (١٩٤٣) التي تكونت من العمال الاجانب في شركة النفط البريطانية - الايرانية وفي الشركات التجارية الاجنبية كشركة قهوجي (٢) . وقد تحولت معظم هذه

Digitized by Birzeit University Library

الجمعيات والنوادي في منتصف الخمسينات الى نقابات عمالية.

وفي عام ١٩٣٨ وعندما بدأ التواجد العمالي في عدن في التزايد انشأت السلطات البريطانية في المستعمرة مكتبا للعمل لتسهيل توظيف واستخدام العمال ، من قبل الشركات والمقاولين والدوائر الحكومية . وفي عام ١٩٤٢ اصدر البريطانيون "قانون نقابات العمال" . وقد اقر المرسوم انشاء مكتب العمل هذا وحق العمال في تنظيم انفسهم في نقابات . وحتى عام ١٩٥٢ اقتصرت صلاحية هذا المرسوم على الاوروبيين العاملين في عدن . وكانت اول نقابة جرت الاعتراف بها في عدن في ذلك الحين هي نقابة "قبطان الميناء" الذين بلغ عددهم ١١ عضوا كانوا جميعا من الاوروبيين.

ولكن بداية عام ١٩٥٥ شهدت تزايدا ملحوظا في عدد النقابات وعدد اعضائها. ففي اواخر هذا العام بلغ عدد النقابات ١٢ نقابة . وفي شهر كانون ثاني من نفس العام كان هناك ٢١ نقابة مسجلة لدى دائرة العمل والرفاه "التابعة لحكومة عدن" . وكانت هذه النقابات جميعا تنضوي تحت لواء "مؤتمر عدن العمال" (المؤتمر العمالي) الذي جرى تأسيسه في شهر مارس عام ١٩٥٦ . وقد وصل عدد اعضاء هذه النقابات في ذلك الحين الى ما يقارب ٢٢ الف عضو، جاء اكثر من نصفهم من الشطر الشمالي من اليمن ، وثلاثة الاف من العدنيين ، وستة الاف من سكان المحمية في الداخل(٣).

كانت حكومة عدن تأمل في ضمان تعاون الحركة العمالية . ولهذا الغرض قامت بانشاء "مكتب عمل استشاري " وعينت فيه ممثلا نقابيا "على امل تسوية الكثير من المطالب التي تسببت في قيام قلاقل عمالية(٤). وكانت بريطانيا متعاطفة مع تأسيس "المؤتمر العمالي عام ١٩٥٦. وبالطبع كانت دوافع بريطانيا واضحة وبالتأكيد لم تكن الحرص على مصلحة الطبقة العاملة . كان البريطانيون يأملون في احتواء الحركة العمالية والنقابية من خلال اطار مؤسس على النمط البريطاني ويقتصر نشاطه على المطالب النقابية دون الانخراط في النشاط السياسي(٥) كما كانوا يأملون في ان "يصبح النقابيون اكثر احساسا بالمسؤولية"(٦)! وعلى ذلك كان السماح بتأسيس المؤتمر العمالي بمثابة محاولة للاحتواء . ويقول توم هيكينبوثام ، حاكم عدن:"على المؤتمر العمالي الناشيء ان يعرف كيف يضع السياسة في مكانها المناسب والذي يجب ان يكون ، في رأيي ، خارج الاتحاد"(٧) . لكن محاولة بريطانيا احتواء الحركة العمالية والنقابية باءت بالفشل.

الطبقة العاملة كقوة منظمة:

بعد تأسيس "المؤتمر العمالي" لم تعد الحركة العمالية والنقابية تعتمد فقط على الاساليب التقليدية في نضالها من اجل نيل حقوقها كتوجيه النداءات ورفع العرائض وما شابه ، بل اتبعت اساليب جديدة كالاضرابات والمظاهرات والانتفاضات . كما طرأ تغير على طبيعة المطالب النقابية نفسها حيث تحولت هذه المطالب من مطالب عمالية ونقابية الى مطالب سياسية وعلى رأسها الاستقلال الوطني وتحقيق الوحدة بين شطري اليمن . وشملت النشاطات النقابية للمؤتمر اجراء المفاوضات باسم النقابات العمالية والدفاع عن حقوق العمال ، وتأسيس الصناديق لدعم العمال المضربين ونشاطات اجتماعية اخرى كعقد اللقاءات الثقافية والحلقات المسائية والدورات التدريبية.

نجح "المؤتمر العمالي" في خلق احساس بالتعاون والتضامن بين افراد الطبقة العاملة. وكان من المعتاد ان يقوم العمال بالتبرع بجزء من اجورهم لزملائهم الذي يجري فصلهم او [illegible] كان يتبرع به بعض العمال

Digitized by Birzeit University Library

الى ربع دخلهم الشهري(٨).

شكلت الحركة العمالية والنقابية المصدر الرئيسي في مجال دعم الحركة الوطنية في عدن. وقد شمل هذا الدعم المشاركة الفعلية من قبل قادة واعضاء الطبقة العاملة في النشاطات السياسية للحركة الوطنية . فلم يكن بمقدور الطبقة العاملة ان تفصل بين المشاغل النقابية والمشاغل السياسية . وعكست الحركة العمالية والنقابية بين صفوفها الاتجاهات الرئيسية للحركة الوطنية . وكان اقوى الاتجاهات السياسية هو ذلك الاتجاه الذي يحظى بدعم وتأييد الجزء الاكبر من الطبقة العاملة . وربما فسر ذلك انتقال النفوذ من "رابطة الجنود العربي" الى "حزب الشعب الاشتراكي" ومن ثم الى "الجبهة القومية".

ومنذ البداية كانت الحركة العمالية في عدن عرضة للمؤثرات التقدمية وخاصة تلك التي قام بنقلها وتعميمها ، ومنذ فترة مبكرة ، عبدالله باذيب ، القائد النقابي ومؤسس الاتجاه الماركسي في اليمن . اسهمت مثل هذه المؤثرات في توجيه الطبقة العاملة وجهة راديكالية . فقد رفضت كتابات عبدالله باذيب دعوات البرجوازية العدنية المصالحة الاجتماعية". ولا نستطيع ان نمنح محبتنا لمن يستغلنا ويمتص دماءنا ويبني سعادته على انقاض بؤسنا وشقائنا.. اننا اشد شوقا وحنينا من السيد المسيح الجديد الى تحقيق تعاليمه الانسانية واشد ايمانا منه بيوم ات لا ريب فيه يندمج فيه البشر في وحدة انسانية متماسكة .. ولكن متى؟؟ يوم ينتهي استغلال الانسان لاخيه الانسان ويوم لا يكون هناك سيد ومسود.. وشعوب محكومة ودول اجنبية حاكمة . ويوم لا تكون هناك سياسة مرسومة موجهة ضد عروبتنا وكياننا القومي.. ويوم تزول سياسة توطين وتغليب الاقليات الدخيلة على الشعوب الاصيلة ، ويوم تتلاشى مصالح القلة الجشعة التي تطغى على مصالح الاغلبية الساحقة وتحركها وفقا لمشيئتها.. وبكلمة واحدة.. يوم تنقرض جميع اشكال الاستعباد والاستغلال (٩) وتحل محلها صورة المجتمعات الانسانية المتضامنة المؤتلفة المتساوية.." وقد اتهم باذيب نتيجة لذلك بالتحريض ضد الحكومة والدعوة الى الصراع الطبقي بين فئات الشعب المختلفة مما ادى الى تقديمه للمحاكمة من قبل السلطات البريطانية ، ولكن ردة الفعل والضغوط الشعبية اجبرت هذه السلطات على اطلاق سراحه.

تجلت بداية التحول الراديكالي في صفوف الطبقة العاملة على صعيد اشمل في بروز ست نقابات عمالية هي النقابة العامة لعمال الطيران ، اتحاد الطيران المدني ، النقابة العامة للمعلمين ، نقابة عمال وموظفي البنوك ، نقابة عمال وموظفي امانة الميناء ، ونقابة عمال وموظفي البناء والانشاء والتعمير(١٠).

قامت هذه النقابات الست بتحدي القيادة التقليدية المعتدلة لعبدالله الاصبح ، الامين العام للاتحاد العمالي وزعيم حزب الشعب الاشتراكي ، واعطت تأييدها بدلا من ذلك للجبهة القومية . واكتسبت هذه النقابات الست اهميتها من طبيعة الدور النقابي الهام الذي لعبته ومن كونها اكبر النقابات العمالية في عدن . وكان لهذه النقابات دور رئيسي في انتصار الجبهة القومية على منافسيها من الحركات السياسية الاخرى.

نضالات الطبقة العاملة:

قامت النقابات العمالية من خلال حزب الشعب الاشتراكي الذي كان بمثابة ممثلتها السياسي (وذلك قبل قيام الجبهة القومية) بالوقوف موقفا معارضا لانشاء "اتحاد الجنوب العربي" ، كما عارضت من قبل تأسيس "مجلس عدن التشريعي"(١١) . فقد كانت قناعة قيادة الحركة العمالية في ان "الاتحاد" سيكون اداة

Digitized by Birzeit University Library

لتكريس النفوذ البريطاني وسلطة الاقطاع والبرجوازية ولاضعاف حركة المعارضة والحركة الوطنية.

شملت الاهداف التي سعى اليها قادة الحركة العمالية والنقابية في عدن طرد البريطانيين من عدن ، والغاء الدستور عام ١٩٥٩ ، وحل "اتحاد الجنوب العربي" وانشاء دولة واحدة بدلا منه تتكون من الشطرين الجنوبي والشمالي من اليمن وتشكل جزءا من "الجمهورية العربية المتحدة" او ترتبط بعلاقات وثيقة بها(١٢).

شكلت الطبقة العاملة رغم صغر حجمها وحرمانها من التعليم "عصارة معاناة الشعب اليمني ، باجمعه ، وخلاصة عذاباته الطويلة ، وامتلكت بفعل ذلك احساسا عاما عميقا وحادا بمشاكله الاساسية ، ووعيا متقدما بمصالحه الحقيقية (١٣). وتقاسمت الحركة العمالية والنقابية من ناحية والحركة الوطنية من ناحية اخرى المشاغل والاهتمامات. وكانت نجاحات النضال العمالي والنقابي تنعكس ايجابيا على النضال الوطني ، كما كانت انجازات النضال الوطني تنعكس ايجابيا على النضال العمالي والنقابي.

فبالاضافة الى انزال الضرر الاقتصادي بالبريطانيين والشركات الاجنبية وحلفائهم الطبقيين في البلاد ، شكلت الاضرابات العمالية مصدر دعم معنويا لمن كانوا منخرطين في النضال السياسي والوطني والكفاح المسلح على حد سواء . ان الحركة العمالية والنقابية لم تقصر نضالاتها على مسائل نقابية او مطلبية ، بل كافحت من اجل قضايا سياسية ووطنية . وربطت الحركة الوطنية بدورها في برامجها قضايا النضال الاجتماعي بقضايا النضال الوطني. ولذلك كان من الطبيعي ان تجد الحركة الوطنية طريقها الى صفوف الطبقة العاملة بسهولة . وكان للكفاح المسلح في فترة لاحقة اثر هام على الحركة النقابية وربما كان من اهم العوامل التي ادت الى تخلصها من قياداتها التقليدية والى توجهها وجهة راديكالية .

أ) السياق الذي نشأت فيه نضالات الطبقة العاملة:

تضاعف عدد سكان عدن ثلاث مرات في الفترة الواقعة بين عام ١٩٣١ وعام ١٩٥٦ وذلك بسبب موجات الهجرة القادمة من الهند والباكستان والصومال، والاهم من ذلك الشطر الشمالي من اليمن والمناطق الداخلية من الشطر الجنوبي. وقد جاء حوالي ثلاثة ارباع القوة العاملة من المنطقتين الاخيرتين (الشطر الشمالي والمناطق الداخلية من الشطر الجنوبي). واستوعب الميناء حوالي ١٥٪ من مجموع القوة العاملة في عدن (١٤). وقام العمال القادمون من شطري اليمن بالعمل على ظهر السفن وفي المرافىء وكحمالين وعمال نظافة وسواقين وحراس وفي الدكاكين الصغيرة (١٥) .

كانت احوال العمال في عدن قبل تاسيس النقابات العمالية تتميز بالبؤس . لم تكن هناك عطل مدفوعة . ولم تتلق الاغلبية الساحقة من العمال اي علاج طبي او فوائد من مستخدميهم . وعاش العمال في مساكن تفتقد الشروط الصحية . وكان يجري استخدام العمال عن طريق وسطاء (المقدمين) . وباختصار لم يتمتع العمال باي حقوق تذكر . وبسبب الفقر الشديد ، وبسبب حاجتهم الماسة للعمل وعدم توفر فرص الاستخدام وارتفاع نسبة البطالة اضطر العمال في البداية الى القيام بأي نوع من العمل والى السكوت على الاستغلال(١٦).

ولكن هذه الاوضاع بدأت في التغير بعد تأسيس "المؤتمر العمالي" الذي جاء لينهي دور وسيط العمل (المقدم) . كان قادة النقابات الجدد من الشريحة الاكثر وعيا بين العمال وجاءوا من العناصر المثقفة والكتبة والحرفيين المتعلمين . وكان ارتقاء هؤلاء العمال الى قيادة الحركة

Digitized by Birzeit University Library

النقابية في البلاد يشكل الخطوة الاولى لعملية تحول جدية في المجتمع. وجاء بروزهم ليثير قلب القيادات التقليدية التي تكونت من مجموعة من العائلات العدنية مثل عائلات لقمان ومكاوي وحسن علي وعائلات اخرى (١٧). وعن هذه العائلات يقول حاكم عدن :"لعبت هذه العائلات دور وسطاء من نمط معين حيث قامت بمزج ممارسة التجارة مع ممارسة السياسة . وقد عملت على ايجاد صيغة مقبولة للتوفيق بين مصالح بريطانيا ومصالح البرجوازية العربية داخل عدن وحولها . كانت هذه العائلات خبيرة بشؤون السياسة وعلى استعداد لتكييف اساليبها وفقا لمقتضيات الوقت والحاجة (١٨) ولم تكن تحبذ فكرة الخلاص التام من الحكم البريطاني بل كانت تسعى الى تحقيق مكاسب سياسية لصالحها عبر المفاوضات.

ب) النضال النقابي:

تركزت المطالب العمالية للحركة العمالية في عدن حول اربع مسائل: ساعات واحوال العمل ، الفوائد الاجتماعية ، العمالة الاجنبية ، وقوانين العمل.

طالبت النقابات بتعديل الاجور لكي تتناسب ومستوى المعيشة . كما طالبت بتخفيض ساعات العمل. كان معدل ساعات العمل عام ١٩٤٧ يتراوح بين ٤٨ الى ٦٠ ساعة في الاسبوع. ونتيجة للنضال النقابي فقد تم تخفيض هذه الساعات عام١٩٥٦ الى ٤٨ ساعة في الاسبوع للعمال اليدويين(١٩) . وطالب العمال بانشاءنظام تأمين اجتماعي واجازات وعطل سنوية مدفوعة الراتب. وشملت المطالب الاجتماعية الاخرى مسائل السكن والعناية الطبية والاجازات المرضية وتكاليف المواصلات(٢٠).لقد رأى "المؤتمر العمالي" في تدفق العمال الهنود والصوماليين الى عدن خطرا يتهدد مصالح العمال العرب. ولذلك طالب المؤتمر بفتح سوق العمالة في عدن للعمال اليمنيين فقط.

لجأت النقابات في سعيها لانتزاع اهدافها من المستخدمين الى سلاح الاضرابات. ولم تعرف عدن اشكال النضال الجماهيري كالاضرابات والمظاهرات النقابية والسياسية الا بعد ظهور الحركة العمالية وتحت قيادتها(٢١) . فقد حدث اول توقف عن العمل في عدن عام ١٩٤٨(٢٢). وفي عام ١٩٥١ قام العمال باضراب تلقائي استمر شهرا كاملا. وفي عام ١٩٥٦ عصفت بعدن موجة من الاضرابات المنظمة شملت عمال المصفاة وسائقي الباصات وسيارات الاجرة وموظفي الطيران حيث وقع اكثر من ألف من الاضرابات والاحتجاجات خلال عام واحد كان من نتيجة بعضها قتل عدد من البريطانيين.

وفي عام ١٩٥٩ وقع حوالي ٨٤ اضرابا نجم عنها خسارة ما يقرب من ١٥٠ الف يوم عمل وتهديد النشاط الصناعي في عدن بالتوقف التام وبتدهور الحياة الاقتصادية بشكل عام.

وتسبب العديد من هذه الاضرابات في اغلاق الميناء احيانا لاسابيع في الاضراب الواحد. وبعد كل اغلاق كانت السفن تتجه الى الموانيء المجاورة في جيبوتي والحديدة متسببة في خسارة الميناء للكثير من الاعمال(٢٣).

وفي عام ١٩٦٠ وقعت سلسلة اخرى من الاضرابات للاحتجاج على "قانون العلاقات الصناعية Industrial Relations Ordinance الذي سنه "المجلس التشريعي" . فقد قلص هذا القانون حق الاضراب وفرض التحكيم الجبري. وفي النصف الاول من عام ١٩٦٠ وقع ٨٤ اضرابا (٢٤).

وكان من الصعب على اصحاب العمل والمستخدمين مواجهة اضرابات من هذا النوع. واثناء الاضرابات بحث العمال عن اساليب بديلة لكسب الرزق كالعمل المؤقت ، او عادوا الى

Digitized by Birzeit University Library

قراهم او قبائلهم (٢٥).

استمرت الاضرابات المتقطعة حتى يوم الاستقلال. وقد برهنت على فعاليتها القصوى كسلاح في انتزاع التنازلات من المستخدمين واصحاب العمل (٢٦) . واقتنع العمال منذ البداية ان قياداتهم العمالية الجديدة كانت جديرة بالثقة . ولم يتردد قادة "المؤتمر العمالي" في استخدام سلطتهم الجديدة والحاق الضرر باقتصاد عدن مدركين انهم لا يملكون شيئا يخشون خسارته(٢٧).

كانت الاضرابات فعالية لان اقتصاد عدن اعتمد على الخدمات التي كانت تقدمها القوى العاملة التي تكونت في اغلبيتها من العرب المؤطرين في نقابات .

ساعدت مجموعة من العوامل في اعطاء الحركة النقابية في الشطر الجنوبي من اليمن شخصيتها المميزة . "كان ذلك جزئيا بسبب الاوضاع الاقتصادية الخاصة القائمة في عدن ، وجزئيا بسبب طبيعة التنظيم الاجتماعي للعمل والعمال في المستعمرة ، وجزئيا بسبب عدم استعداد النقابيين نسيان كونهم عربا او التخلي عن مشاعرهم القومية ، وجزئيا بسبب كون النقابات في عدن لا تخضع لسيطرة الحكومة على الرغم من خضوعها لقوانين حكومية . وهي بذلك تختلف عن بقية النقابات العربية الاخرى ، ما عدا النقابات في لبنان "(٢٨) .

وقد اسهمت الضغوطات المصرية على الحكم البريطاني في جنوب اليمن في اعقاب حرب السويس عام ١٩٥٦ ، وقيام الوحدة المصرية - السورية عام ١٩٥٨ ، وقيام ثورة ايلول عام ١٩٦٢ في شمال اليمن في ابعاد الحركة العمالية والنقابية في اليمن عن نمط النقابات البريطاني.

كانت نشأة الحركة النقابية والعمالية في عدن في منتصف الخمسينات وتطورها اللاحق ذات اهمية خاصة ، ليس فقط بسبب الدور الذي لعبته الحركة في خلق حالة من الوعي الاجتماعي والنقابي ، بل ايضا بسبب الدور الذي قامت به في خلق اتجاه راديكالي في المجتمع بشكل عام ، هذا الاتجاه الذي اصبح اشتراكيا بشكل واضح عندما تحققت السيادة داخل الحركة العمالية للجناح الراديكالي فيها. وقد اسهم التحالف الذي نشأ بين الحركة العمالية والنقابية من ناحية والجناح الماركسي في الجبهة القومية والاتحاد الشعبي الديمقراطي من ناحية اخرى في جعل الحركة اكثر راديكالية.

خاضت الطبقة العاملة اليمنية نضالا داخليا مستمرا من اجل فرز وعزل القيادات والعناصر الانتهازية للمحافظة على تماسك وصلابة الطبقة العاملة والمحافظة على خطها الوطني والتقدمي . وتصدت هذه الطبقة للقيادات العمالية الانتهازية التي حاولت تشويه نضالات الطبقة العاملة وحرفها عن مسارها النضالي . كما افلحت الطبقة العاملة بفضل نضالاتها في اجبار القيادات العمالية التقليدية على الانصياع للمواقف الوطنية والنقابية الصحيحة (٢٩).

كان مثل هذا النضال الداخلي يجري على قدم وساق ويرتبط ارتباطا جدليا مع النضال الوطني والاجتماعي التحرري الذي كانت الطبقة العاملة تخوض غماره. وبالاضافة الى ذلك وقفت النقابات العمالية ضد الخط الانفصالي الذي قادته "رابطة الجنوب العربي" التي ركزت على جنوب اليمن دون شماله ، وضد النزعة الاصلاحية التي كانت تمثلها قياة المؤتمر العمالي التقليدية (٣٠).

ج) النضال الوطني والقومي والتقدمي:

لقد منيت امال البريطانيين بفصل النضال النقابي عن النضال السياسي للنقابات العمالية بالفشل. فقد كانت الحركة العمالية والنقابية في عدن

Digitized by Birzeit University Library

وتقدمية . وكانت السياسة هي الشغل الشاغل للعناصر التي قادت النقابات بعد عام ١٩٥٦. كان هؤلاء في الاساس من قادة "الجبهة الوطنية المتحدة" الذين تركوا الجبهة لاسباب تكتيكية لكي يضمنوا سيطرة الجبهة على الحركة العمالية. ولم يتخلى هؤلاء مطلقا عن المباديء التي حملوها ، ولم يتخلوا عما لديهم من تطلعات وحقيقة الامر هي ان قيادة "المؤتمر العمالي" تداخلت مع قيادة "الجبهة الوطنية المتحدة" . وعلى الرغم من جهود دائرة العمل التابعة لحكومة عدن وجهود النقابيين البريطانيين الذين كانوا يترددون على البلاد لابعاد النقابات عن السياسة فان الاهداف والمطالب السياسية كانت تظهر دائما الى جانب المطالب العمالية والنقابية(٣١).

وقد انعكس الاتجاه الوطني للمؤتمر العمالي والتزامه بالقضية الوطنية في اعلان موقفه بالسير قدما نحو مجتمع اشتراكي عربي موحد ومتحرر من كافة اشكال الاستغلال والاستعمار (٣٢) . وتركز نضال الحركة العمالية على قضايا وطنية وسياسية واجتماعية حيث انها ناضلت في ثلاثة اتجاهات متداخلة تمثلت في التصدي للوجود الاستعماري ، والشركات الاحتكارية ، والقيادات الانتهازية" المتسلقة على اكتاف الطبقة العاملة"(٣٣) . ولم يكن هناك اي تناقض ، من وجهة نظر الحركة العمالية ، يحول دون النضال من اجل هذه القضايا مجتمعة وفي ان واحد.

بدأ النضال السياسي الوطني والقومي للحركة النقابية في عدن في الواقع قبل عام ١٩٥٦ . ففي اثناء القلاقل العمالية التي وقعت عام ١٩٤٦ في عدن احتج العمال على السياسات البريطانية في فلسطين وفيما بعد على تأسيس دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . وفي عام ١٩٥٦ اضرب العمال في عدن تضامنا مع مصر ضد العدوان الثلاثي (البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي) الذي اعقب تأميم عبد الناصر لشركة قناة السويس (٣٤).

وجرى تنظيم الاضرابات والمظاهرات ايضا لاسباب سياسية ووطنية محلية . ففي عام ١٩٥٩ قامت الاضرابات والمظاهرات للاحتجاج على تأسيس "اتحاد الجنوب العربي" وعلى اندماج عدن فيه عام ١٩٦٢".كانت النقابات منذ البداية شديدة التسيس وغالبا ما اضربت لاسباب سياسية بحتة"(٣٥) . وكانت بريطانيا تدرك هذه الحقيقة. ففي عام ١٩٥٦ طالب مجلس عدن التشريعي باجراء تحقيق لتحديد الى اي مدى كانت دوافع هذه الاضرابات سياسية (٣٦) . وقد هاجمت اللجنة الموكل اليها اجراء التحقيق "الجبهة الوطنية المتحدة" لقيامها باكساب الاضرابات النقابية مضمونا وطنيا وسياسيا(٣٧) .

وفي عام ١٩٥٨ استطاع "الاتحاد العمالي" السيطرة على المسرح السياسي وان يصبح موضع اهتمام الحركة الوطنية في البلاد. وكان النشاط السياسي للحركة العمالية قد وصل ذروته بتأسيس حزب سياسي خاص بها هو "حزب الشعب الاشتراكي".

ولكن وبعد تأسيس "الجبهة القومية" والتفاف الحركة العمالية حولها اخذ نضال الحركة العمالية منعطفا جديدا. فقد جاء عدد كبير من قادة وكوادر ومناضلي الجبهة من بين صفوف الحركة العمالية. كما قام افراد هذه الحركة بالمشاركة الواسعة في الجهود الفعلية ، الجماهيرية والتنظيمية والعسكرية والسياسية ، التي صاحبت الثورة المسلحة ، والتي كانت مسؤولة عن انجاز الاستقلال الوطني عام ١٩٦٧.

Digitized by Birzeit University Library

الهوامش

١) محمد الحبشي ، اليمن الجنوبي (بيروت: دار الطليعة ، ١٩٦٨) ص٥٤٤.

٢) عبدالله مرشد ، نشوء وتطور الحركة النقابية والعمالية في اليمن (بيروت: دار ابن خلدون ،١٩٨١)، ص١١٣ - ١١٧.

٣) الحبشي ، مصدر سبق ذكره ، ص٥٥٠

4) D.C Watt "Labor Relations and Trades Unionism in Aden:1952 - 1960" Middle East Journal 16 (Autumn 1962) ,P.448.

5) R.J Gavin, Aden Under British Rule: 1893 - 1967 (New York: Harper and Row Publishers, Inc.1975) ,P.329.

6) Fred Halliday, Arabia without sultans(london:Pengum Books,1974L) p.223.

7) Sir Tom Hickinbotham , Aden (London:Constable and company Ltd.1958)p.191

٨) مرشد،مصدر سبق ذكره ، ص١١٣.

٩) نفس المصدر السابق ،صص ١٢٢ - ١٢٣.

١٠) نفس المصدر السابق ،صص ١٨٩ - ١٩٠.

11) Gavin, p.342.

12) Gillian King, Imperial Outpost - Aden: Its place in British Strategic Policy (London: Oxford University press 1964) p.53.

١٣) محمد علي الشهاري. الخروج من نفق الاغتراب واحداث ثورة ثقافية في اليمن (بيروت: دار الفارابي ،١٩٨٢) ص٩٠.

14) Tom Little, South Arabia (New York: Frederick A.Praegen , Inc.,1967),P.122.

15) Joe Stork,"Souialist Revolution in Arabia:A Report from Democratic Yemem" MERIP 15 (March 1973),p.3.

16) Watt, P.447.

17) Gavin,P.328.

18) Hickin botham,P.328

١٩) الحبشي، مصدر سبق ذكره ، ص٥٤٩.

20) Watt,P.447.

٢١) الشهاري ، مصدر سبق ذكره ،ص٩٠.

22) Gavin,P.327.

23) King,P.44

25) Watt,P.452.

26) Gavin,P.327.

27) King,P.45.

28) Watt,P.443.

Digitized by Birzeit University Library

٢٩) الشهاري ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٢.

٣٠) نفس المصدر السابق ص ٩٣.

31) Gavin,PP.329 - 330

32) Watt,P.454.

٣٣) الشهاري ، مصدر سبق ذكره ، ص٩٢.

34) Gavin,P.331.

35) Halliday,P.222 n.

36) Gavin,P.331.

37) Halliday,P.182.

الهيئات والاوساط الوطنية والدينية في المناطق المحتلة:

بيانات الدس والافتراء على الحزب الشيوعي الفلسطيني ترمي الى دق الاسافين بين الاطراف الوطنية وهي معروفة المصدر والتمويل!

استنكرت الهيئات والاوساط الوطنية والدينية في المناطق المحتلة محاولات الدس والوقيعة التي لا تزال متواصلة ، بين الاطراف الوطنية .

وحددت هذه الاوساط بيانا صدر ووزعته يوم الثلاثاء ٥/٣١ اوساط مشبوهة يحمل توقيع "المرابطون على ارض الاسراء" تضمن هجوما محموما على الحزب الشيوعي الفلسطيني ودسا رخيصا على بعض قيادييه اضافة للخلط بين الحزب الشيوعي الاسرائيلي والحزب الشيوعي الفلسطيني.

هذا واعلنت الاوساط والفعاليات الدينية عدم مسؤوليتها عن هذا "البيان".

ويقول مراقبون ان البيان المذكور هو ترجمة عملية للايحاء بوجود انقسام داخل الصف الوطني وانه معروف المصادر والتمويل.

Digitized by Birzeit University Library

ملف الابداع الادبي والنقد

الكاتب والقصاص محمد عيتاني: مهمة النقد درس المنظومة البنيوية التي تتحرك فيها وظائف العمل الادبي وابعاده واحداثه

الابداع والنقد ، كانا دائما قطبين لحركة واحدة ، هي الحركة الادبية او الفنية. هذه الحركة يمكن ان ننظر اليها على الصعيد العالمي ، او على الصعيد القومي . وبالنسبة للعالم العربي نحن ايضا محكومون بالنظر الى تفاوتات في تطور الحركة على الصعيد الوطني - القطري ، او الاقليمي ، ضمن خصائصها القومية العامة ، وبالتفاعل مع الاتجاهات العالمية المتصارعة . على كافة هذه الصعد ، هناك شكوى عامة من تطور الابداع والنقد ، كل في واد.

ليست المشكلة في بروز تعارض وتجاذب بين هذا التيار الابداعي الغالب او ذاك ، وهذا التيار النقدي الغالب او ذاك ، في ظروف ملموسة محددة . المشكلة تكمن اساسا في بروز نوع من القطيعة ، بين الابداع والنقد ،تجعل كل تيار، او حتى كل مبدع، يتكفل بما يحتاجه من نقد ، اي بانتاج النقد .حسب مقاسه ، او في حالات لم تعد نادرة ، يعبر عن يأسه من النقد اطلاقا ، ويتابع عزلته غير مكترث بفوضى الاراء التي يتركها ، مما يجعل القارىء بحاجة الى كثير من الثقافة والتخصص ليحدد اختياراته ، او يستسلم يائسا ، ومغمض العينين ل "ثقافة" بديل تروجها وسائل الاعلام الجماهيري يطفو فيها القوالب الجاهزة في سوق استهلاكية تعمم المستوى السطحي الهابط للثقافة الجماهيرية..

وقد بدأت "النداء" البيروتية في فتح هذا الملف متوجهة الى المبدعين ونقاد الادب ، اللبنانيين خاصة ، والعرب عامة ، طالبة منهم الاجابة على السؤالين المحوريين التاليين:

- الى اي مدى استطاع النقد العربي ، برأيكم ، مواكبة النتاج الابداعي من قصة وشعر ورواية؟

- وهل يمكن القول ان للنقد العربي دورا مباشرا في تطور العملية الابداعية؟ والى اي مدى افادت العملية الابداعية من النقد في اتجاهاته المختلفة ، اذا رأيتم ان النقد قد اضطلع بدوره هذا؟

وفيما يلي اجابة الكاتب والاديب محمد عيتاني:

Digitized by Birzeit University Library

يذكر الشاعر والكاتب السوفياتي الداغستاني الشهير رسول حمزاتوف انه حين كان طالبا يدرس الادب في معهد غوركي للعلوم الادبية في موسكو ، لاحظ انه في السنة الاولى الدراسية كان في صفهم حوالي سبعة شعراء وستة مسرحيين، وخمسة روائيين واربعة نقاد. وفي السنة الثانية اصبح في الصف ثلاثة شعراء واربعة مسرحيين وروائيان وخمسة عشر ناقدا وفي السنة الاخيرة بقي هناك شاعر واحد وروائي واحد واصبح الباقون كلهم نقادا!

طبعا ، يمكن ان يكون في هذه الرواية بعض المبالغة التي قصد منها المرح او المزاح. وربما كانت تصور العلاقة موضوع السؤال بين الابداع والنقد . وهذه العلاقة يمكن وصفها بانها مثل العلاقة بين طبيب الاسنان وزبونه الخائف والناقم دائما . صحيح ان الزبون مضطر لعرض او لمعالجة اسنانه عندالطبيب المداوي ولكن صحيح ايضا ان الطبيب (اقرأ الناقد) لا يجد لذة خاصة في احداث وجع للزبون، لكن عملية قلع الضرس بحد ذاتها لا بد ان يرافقها وجع بالرغم من وجود المخدر . وقليل من النقاد يعثرون على مخدر معين لعدم ايلام الاديب موضوع النقد. وصحيح، ثالثا، ان بعض اطباء الاسنان كثيرا ما يقتلعون غير الضرس الخرب لكن هذه كما يقال ، مسألة اخرى.

يمكن ان نخرج من هذه المقاربات "الحدوتية"، التي اردنا ان نستهل بها مطالعتنا للعلاقة بين عمليتي الابداع والنقد ، ونقول ان العلاقة بينهما ليست الية تلقائية معطاة مرة اولى واخيرة ، بل هي علاقة جدلية تتضمن فعلا ورد فعل ، بل افعالا وردود افعال ، مع انحناءات واستدارات وتوقفات ثم متابعات واحيانا اضافات ، بل حسومات ، كما حدث بين ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران حين كتب الاول سيرة الثاني فجرده من النبوة الكريمة التي اضفاها عليه المعجبون في الشرق والغرب وكاد يجرده حتى من نعمة الادب.

قلنا ان العلاقة بين عملية الابداع وعملية النقد هي علاقة جدلية وليست الية، ونضيف بانها قد تكون عملية "سبقا للتجربة" (apsiori) او قد تكون "بعد التجربة" حسب تعبير الفلاسفة ، كما ان العملية النقدية قد تترك فسحة زمنية هي اكبر واوسع من الفسحة التي تلزم الناقد لكي يتلقى العمل الابداعي ويروزه ويقيسه ثم يصدر حكما بشأنه. فقد لزمت قرون عديدة قبل ان يقدم الناقد المرحوم الدكتور محمد النويهي نظريته المتكاملة حول الشعر الجاهلي. ولكن لم يلزم اي زمن طال او قصر للناقدين عباس العقاد او ابراهيم المازني لكي يحكما على شعر احمد شوقي. هذا اذا لم يكن حكمهما قد اعد سلفا، نظرا لاختلاف منطلقات الفرقاء الثلاثة.

حول الشعر الحديث

لنأخذ ظاهرة اساسية ومهمة لها ابعادها الجمالية والشعرية والفنية واللغوية والاجتماعية ، وحتى السياسية، وهي ظاهرة ما سمي بالشعر الحديث او الشعرالحر او شعر التفعيلة. هذه الظاهرة التي بدأت مع الخمسينات وما زالت فاعلة ومتحركة في صميم العملية الشعرية في ايامنا هذه عام ١٩٨٧ . فنحن نلاحظ ، لبؤس النقد ، ان هذه الثورة التغييرية التي طرأت على الكتابة الشعرية في زمننا لم تنطلق من مقدمات نقدية من اي نوع كان بل اندفعت من شيء او اشياء تشبه الحدس والتغيير الذي طرأ على شكل كتابة القصيدة العربية ومضمونها ليس شيئا بسيطا. فقد الم التغيير بكامل بنية القصيدة فتم التخلي ، تقريبا ، عن بحور الخليل وعن تواتر القافية . كما جرى التخلص من خضوع القصيدة للايقاعات المدرسية التقليدية لكي تبني القصيدة

Digitized by Birzeit University Library

اساسا وفقا لموضوع الشاعر ولالهامه الداخلي ، وطبقا لحالته النفسية ورؤياه الحسية .. وباختصار ، وفقا للبناء الشعري الحر الحديث. وبعد ان تعدد شعراء هذا التغيير ، وهذه الكتابة الحديثة ، وبعد ان خاض الشعراء الجدد معركة ضارية (لا سيما في مصر: عبد الصبور - العقاد) ضد المتمسكين بالقيم القديمة بدأ النقاد المحترفون منهم والهواة يعملون يد النقد والتقييم في القصيدة الحديثة.

وفي منتصف الستينات حين اخذت الكتابة الجديدة تعاني من ازمتها المتلخصة في عدم قيام عروض خاصة للقصيدة الجديدة ، وعدم توفر جمالية نقدية تميز بين قمح الشعر وزوان الافتعال ، لم يكن النقاد والمختصون هم الذين عكفوا على بحث مشاكل القصيدة الحديثة بل قام بذلك الشعراء الجدد انفسهم وذلك في ندوات معروفة كان اشهرها تلك التي اقيمت في دار مجلة "الاداب" . وضمت الشاعر عبد الصبور والشاعر ادونيس وغيرهما.

صحيح ان الذي يتصفح كتابات الدكتور على الراعي والدكتور احسان عباس والشهيد الكبير الدكتور حسين مروة وكتابات الناقد محمد دكروب والعديد من النقاد الجدد ، الذين يكتبون بالاستفادة من النهج البنيوي (يمنى العيد ، سامي سويدان وغيرهما) اقول: ان من يتصفح كتابات هؤلاء النقاد الاعلام يجد تقويما شبه مكتمل للعملية الشعرية الحديثة . لكننا نلاحظ ان اعواما طويلة انقضت على ظهور الكتابة الشعرية الجديدة وعملية تقييمها . وهذا لا صلة لنا فيه. فكما اسلفنا في التمهيد لهذا الكلام فان العلاقة بين عمليتي الابداع والنقد جدلية وليست آلية.

عندما ظهرت الرمزية

نأخذ ظاهرة اخرى وهي ظهور الرمزية في أدبنا العربي واللبناني بخاصة، واريد ان اركز هنا على ممثل بارز ومهم لهذه الظاهرة وهو الشاعر سعيد عقل. فحين بدأ سعيد عقل محاولاته في كتابة الشعر الرمزي لم يكن مسبوقا بدراسات نقدية تمهد لنشوء هذه الكتابة النوعية المحددة بسمات وخصائص معروفة في تاريخ الادب الغربي والفرنسي بخاصة (مالارميه .. فاليري..الخ) ولولا المقدمة التوضيحية التي كتبها سعيد عقل لقصيدته الرمزية الطويلة "الجدلية" لما عثرنا في النقد المرافق في تلك الايام على نص يضيء هذه الظاهرة وهي كتابة سعيد عقل الشعرية التي اتيح لها ، بالاضافة الى اشعار الياس ابو شبكة وصلاح لبكي بمقدار اقل ، ان تحدث تغييرا اساسيا في بنية الشعر العربي في المشرق والمغرب. صحيح ان شعراء كأدونيس وعبد الصبور وبلند الحيدري قد لا يعترفون طواعية بديونهم نحو تجربة سعيد عقل لكن تاريخ العمل الشعري قائم وموجود.

ان تركيز سعيد عقل على الاهمية النغمية والصورية والايحائية للكلمات واعتبار القيمة النوعية اللفظانية والشكلانية للمفردات هي اساس في البناء الشعري.. هذه المرتكزات كان لها تأثير مهم جدا . بل هائل ، في النقلة الشعرية من الصياغات الكلاسيكية التقليدية الى البناء الابداعي الحر المنطلق.

ما هو النقد؟

.. والان، ماذا عن علم النقد ، عن النقد الاكاديمي الموزون والمدروس والاخذ بجماع الثقافة النقدية ، وعلم تاريخ الادب.

لقد انتظرت تجربة سعيد عقل واعماله في الشعر الرمزي عشرات السنين قبل ان ينهض الناقد المرحوم الدكتور انطون غطاس كرم ويصوغ نظرية نقدية متكاملة حول عمل سعيد

Digitized by Birzeit University Library

عقل وانجازاته. لكن سعيد عقل نفسه يصح فيه ما جاء في القرآن الكريم: أتيناه أياتنا فانسلخ منها ، ذلك لانه كما هو معروف تحول من شاعر رمزي وعظيم الايحاء والبناء ، لا سيما في مجموعة "رندلي" الى مجرد شاعر كلاسيكي ، والى ، ربما ، ما قبل شوقي بناء واستلهاما . هذا فضلا عن شعر سعيد العامي الذي "يتجولق" فيه بميشال طراد ، والذي يريده اساسا لحضارتهم التعددية.

الضعف في نقد الرواية

ولننتقل الى فن الرواية. فمن العجيب حقا انه على كثرة ما كتب عن بدايات الرواية المصرية (زينب. لمحمد حسين هيكل. وعودة الروح ويوميات نائب في الارياف لتوفيق الحكيم والايام لطه حسين) فاننا نكاد لا نعثر على عمل نقدي جدير بهذا الاسم يضع هذه الاعمال الرائدة في موضعها من تاريخ الادب العربي الجديد ، وكونها تعبيرا عن بدايات نهوض البرجوازية المصرية المتمسكة في ايامها بالتحرر والاستقلال. صحيح ان ايقاعات فلاحية عميقة تتردد في ارجاء واطراف هذه الروايات. لكن خط السير والاتجاه يسير في افق التحرر البرجوازي الوطني.

لقد كتب نجيب محفوظ ثلاثيته في بداية الخمسينات وجاء تقييم سريع بمثابة رد من الناقد المصري الماركسي الدكتورعبد العظيم انيس ، حيث صنف الثلاثية (بين القصرين - قصر الشوق - السكرية) على انها تعبر عن حياة البرجوازية الصغيرة المصرية. ربما كان هذا صحيحا لكن واجب النقد كان يقضي بالاشارة الى ان نجيب محفوظ كان بازاء تصوير شامل ومعمق وملهم لجمل الحياة الشعبية المصرية ، هذا ، وقد جاءت سائر اعمال نجيب محفوظ مكملة لهذا التوجه الى حد طرح اشكالية الثورة المصرية وما قبلها وما بعدها اذا صح التعبير.

لقد قال نجيب محفوظ: ان افضل من كتب عن اعماله الروائية ، وحدد مسارها ووضع اليد على مواصفاتها وخصائصها هو الناقد الماركسي المصري المعروف الدكتور محمود امين العالم ، وذلك في دراسته المعروفة "المعمار الفني عند نجيب محفوظ". ذلك ، كما فهمنا من تعليق نجيب محفوظ على الدراسة المذكورة ، هو ان الكاتب لا يهمه ان يقول له الناقد ما هو الموضوع الذي عالجه الروائي ، فهو يعرف موضوعه. لكن الذي يهمه في الاساس هو ماهية البناء الفني ، المعمار ، اي المنظومة البنيوية التي يحرك فيها وظائف العمل المقدم ، وابعاده وابطاله وبالتالي اصداءه.

ولكن يبقى ان روايات نجيب محفوظ التي يزيد عددها عن ثلاثين رواية حتى الان ، وضمت الاف الصفحات ، لم تجد لها ، حتى الان مع الاستثناء من الدكتور غالي شكري وزملائه الذين حاولوا دراسة نجيب محفوظ ، فاننا لا نجد حتى الان دراسات نقدية علمية مدعمة بمعطيات علم النقد تقول لنا: ما هي الابعاد الحقيقية لاعمال نجيب محفوظ وموضعها بالنسبة الى فن الرواية في العالم.

وروائي عربي اخر ، مهم جدا لم يقابله النقد بما يستحق من دراسة وتقييم وتحديد خصائص ودراسة الابنية الفنية والفكرية والانسانية التي قدمها . اقصد بهذا الروائي عبد الرحمن منيف فهو في روايته الاولى "الاشجار واغتيال مرزوق" ثم في ثلاثيته :"مدن الملح" و "التيه" و"الاخدود" فضلا عن روايته "شرق المتوسط" قدم عالما روائيا بالغ الاهمية متكاملا من ناحية المجموعات البشرية والتكوينات الاجتماعية التي صورها وذلك في بنيات روائية لا تقل اهمية وقدرة اقناع عن اعمال اي روائي عالمي. ومع ذلك فاين هي الدراسات النقدية العلمية التي واكبت ، على حد تعبير السؤال اعمال هذا

Digitized by Birzeit University Library

الروائي.

وهناك روائي كان اسعد حظا مع النقاد وهو الطيب الصالح . فقد حظيت رواياته بدراسات لا بأس بها ، واخص منها بالذكر الاطروحة التي اعدتها الدكتورة رجاء نعمة عن رواية موسم الهجرة الى الشمال . وقنوات الاطروحة : "صراع المقهور مع السلطة" فهي ، بالاستناد الى معطيات علم النفس التحليلي "الفرويدي". فضلا عن اسس النقد الادبي العلمي ، قد غاصت الى اعماق رواية الطيب صالح ، وقدمت تقييما مشرفا لهذا العمل ويمكن اعتبار عمل الدكتورة نعمة نموذجا لما يجب ان يكون عليه النقد. لقد اشرت في تعليقي على هذا العمل بانه اهمل الى حد ما الجانب الاجتماعي والحضاري في الرواية فردت الدكتورة نعمة بانها ، في الحقيقة ، لا تعرف السودان ولا شعبها فتطوعت الدكتورة نور سلمان بان تشرح لها الموضوع لانها عاشت في ذلك البلد.

مثال التعاطي مع "طواحين بيروت"

وننتقل الى لبنان ، فحين صدرت رواية توفيق يوسف عواد "طواحين بيروت" اقيمت ندوة دراسية او كان من المفترض ان تكون كذلك . والحقيقة ، ان المشاركين في هذه الندوة فضلوا ان ينفحوا الروائي الكبير ببعض المجاملات على ان يقوموا بدراسة موضوعية للرواية ، وتحديد قيمها وخصائصها ، ولولا الدراسة المهمة والكاشفة التي تركها الشهيد الكبير حسين مروة عن النزعة الثورية في رواية "طواحين بيروت"، لظلت رواية توفيق يوسف عواد يتيمة على مائدة النقاد.

وان حظ سائر روايات واقاصيص الروائي والقصصي اللبناني الاول لم يكن افضل من ذلك. فان "الرغيف" و "قميص الصوف" و "الصبي الاعرج" و "السائح والترجمان" و "العذارى" لم تنعكس كما ينبغي ، ويمكن ان نقول اطلاقا او ابدا ، في دراسات نقدية . والشيء نفسه يمكن ان يقال عن عملاق في القصة اللبنانية وهو سعيد تقي الدين الذي طبع "فن الاقصوصة" بوشم ابداعي لا ينسى فباستثناء كتاب اشكالي ، على كل حال من ناحية قيمته ، وضعه جان دايه بعنوان "سعيد تقي الدين" لما عثرنا على دراسة ذات وزن لاعمال هذا المبدع الكبير.

وماذا نقول عن اعمال اميلي نصر الله وغادة السمان ويوسف حبشي الاشقر والياس الديري ، فضلا عن الياس الخوري وعديدين؟ فهؤلاء الكتاب والكاتبات الذين واللواتي قدموا اعمالا مرموقة صورت مجموعات وشرائح من الحياة اللبنانية الاجتماعية والنفسية ، لم يجدوا نقادا على مستوى اعمالهم ، اما الفصول التي كرسها عفيف فراج تحت عنوان "الحرية في ادب المرأة في لبنان" فهي رغم اهميتها وجرأتها وكونها تصدت لموضوع بكر وغير مطروق لكنها ، حسب تعبير السيدة اميلي نصر الله قد شدت الاشياء من شعرها ، فهو يقول مثلا عن المرأة في روايات اميلي انها تضيع في الرومانطيقية والحلم. وباختصار فان الناقد المفكر قد وضع نموذجا محددا لصورة مسبقة للحرية ، كما يفهمها ، ولم يقدم صورة واقعية وموضوعية لمساعي نساء هذه الروايات وكاتباتها الى الحرية والى التفاعل مع الحياة كما هي في الواقع. وقد سبق لاحد النقاد ان سأل بوشكين عن مصير بطلته تاتيانا التي كان الشاعر ينشرها على حلقات فقال له : لست ادري ، بل اسأل تاتيانا بالذات.

شعر المقاومة .. لم ينقد كما يجب!

واحيانا ، يأتي النقد الحقيقي من مصادر غير متوقعة . صحيح ان شعراء المقاومة ، وفي

Digitized by Birzeit University Library

طليعتهم محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد قد لقوا تجاوبا سريعا من قبل النقاد العرب (رجاء النقاش ، غسان كنفاني ، حسين مروة ، محمد دكروب) ولاسباب ليست محض ادبية(ولا بأس بذلك) ولكن قبل دراسة الشهيد الكبير مهدي عامل عن ملحمة محمود درويش "احمد الزعتر" تحت عنوان "الشعر والثورة" في احد اعداد جريدة "النداء" (الاحد). فاننا نقولها باخلاص مع الاحترام لكل من عكف على شعر المقاومة محاولا تقييمه ، باننا لم نعثر على دراسات علمية معمقة ومسؤولة تضع شعر المقاومة في موضعه من العملية الابداعية الشعرية الحديثة ، لان علم النقد كما افهمه ، لا ينبغي ان يرد على سؤال : لماذا كتب هذا العمل . فهذا نقد تأويلي ، بل يجب ان يحلل طبيعة العمل بالذات ، ويبين معالم بنائه وحقيقة علاقاته. وهذا هو النقد التفسيري.

اود مع شيء من الخجل ان اتكلم عن علاقتي شخصيا ، او تجربتي مع النقد. فحين صدرت مجموعتي القصصية الاولى "اشياء لا تموت" استقبلت بتظاهرة في الصحف والمجلات اللبنانية. ويمكن ان نقول بكل تواضع ، بل ونخجل مرة ثانية ، انه لم يبق ناقد في لبنان او غير ناقد الا واعطى رأيه في المجموعة ، وهذا شيء جيد ولا بد انه عاد بالفائدة على دار النشر التي تولت تفليت قصصي على الناس. لكنني اقول باخلاص وبدون تواضع هذه المرة انه من اصل عشرات المقالات التي كتبت عن المجموعة ، يمكن ان اقول ان ثلاثة تعليقات اثارت انتباهي وافادتني بعض الشيء ، بل كثيرا ، وهي مقالة للزميل الياس شاكر في مجلة "الاخبار" ودراسة الدكتورة يمنى العيد في مجلة "الطريق" ودراسة ثالثة للدكتور ميشال عاصي في مجلة "الاداب".

فصحيح ان الكاتب الذي ينشر عملا يجب ان "يطبطب" له ويعامل "بالتشتشة" والتدليل لكن الاصح انه وهو المبطن بناقد وبعارف باعماق موضوعه ، يريد ان يرى درسا جديا ومعمقا لا قدمه.

آفات يعانيها النقد العربي

اود في النهاية ان افسر سبب قصور النقد اللبناني والعربي عن ملاحقة او مواكبة الابداعات في ميادين الرواية والشعر والقصة والمسرح والمسلسلات التلفزيونية والبرامج الاذاعية ، فهذا النقد في قسم منه كان نقدا تجريبيا ، اي غير نظري وغير علمي . ويسميه علماء النقد احيانا نقدا انطباعيا انه يحاول تسهيل استهلاك العمل الادبي وهو نقد ساقط لانه اجتزائي في احسن احواله. وآفة ثانية عاناها النقد العربي واللبناني وهي ارتكازه الى الاسس المعيارية فيكون نقدا معياريا اي انه يضع نصب عينيه نموذجا كاملا حقيقيا او مفترضا ويريد ان يلزم كل المبدعين بالتقيد بقواعد ومعايير ذلك النموذج . كما فعل ميخائيل نعيمة في اول كتاب في النقد الادبي وهو "الغربال" حين نصب قصيدة المعري المعروفة في الرثاء وهي :

غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح بساك ولا ترنم شاد

اذ يعتبر هذه القصيدة هي النموذج وهي المثال وهي الاصل المحتذى . وهذه مشكلة عاناها النقد العربي على طول تاريخه اذ كان ينصب من شعر الجاهلية نموذجا لابداعات العصر الاموي والعباسي. وبالتالي لعصر النهضة . ان ذائقة مارود عبود ومعرفته الواسعة بل الموسوعية لاعمال الشعراء العرب قدماء ومحدثين هي التي عصمته من الوقوع في اغلب الاحيان في هوة النقد المعياري. ان العملية التي يمكن وصف نقد مارون عبود بها ناشئة عن احترافه للنقد وهذا المأخذ الثالث الذي يمكن ان يوجه الى اغلب

Digitized by Birzeit University Library

النقاد اللبنانيين والعرب. مارون عبود اتخذ بمثابة اساس لحياته الكتابية ان يرافق ان يواكب ، النتاجات الادبية على اختلاف انواعها لقد احترف النقد وثابر ونحن نعرف ان الشهية تأتي اثناء الاكل.

ولا اريد ان القي موعظة في نهاية حديثي لكن اقول انه حين يوجد عندنا نقاد يعتبرون ان واجبهم في متابعة اعمال الكتاب المبدعين ليس شيئا مزاجيا بل هو شيء الزامي ومعنوي وحضاري واجب اجتماعي وتنويري لا يمكن تأجيله او الانتقاص منه حين اذن يتاح لحياة الابداع ان تلاقي انعكاسها الجيد والمفيد في اعمال نقاد الغد.

عن جريدة "النداء" عدد (٨٧٨٠)
١٩٨٧/١٠/٤

Digitized by Birzeit University Library

وثائق

الحركة المسرحية في المناطق الفلسطينية المحتلة

اعداد : جميل السلحوت

واحدة من ابرز همومنا الثقافية هي عدم توثيق هذه النشاطات والفعاليات من ناحية ، او "اختصار" بعض الحقائق و"اهمال" بعض الفعاليات من ناحية ثانية .

وهذا "الاختصار والاهمال" يقع في غالب الاحيان ضمن اطار "تعمد تغييب بعض الاتجاهات وانكار دورها" فضلا عما تلقاه من نكران وجحود ممن ارادوا لانفسهم دور الوصاية عل الثقافة.

يقولون : هكذا .. والا فلا !

ويتبجحون : نحن من قبل ومن بعد ، ولم يكن قبلنا الا قبض الريح ، ولن يكون بعدنا الا الطوفان !

وتضيع الحقائق ، ويصبح الطاووس ، او ريشه الزاهي وحده ، بلبلا غريدا، ويلقب اسم البلبل من قاموس الحقائق. ويصبح التاريخ ارجوحة تعلو بفارس زمنا ، وتهبط بمن تلف "الصدفة" عنه الريش .

ان خلف الريش الزاهي طيرا مثامرا اعجفا ، فلا هو باللحم ولا بالشحم ، والفاقد للشيء لا يغني به عن شيء حقير ، فلا يرد غائلة، ولا يسد وحشة.

كان طموح "الكاتب" دائما توثيق هذه النشاطات والفعاليات الثقافية في المناطق المحتلة، وكان دافعها ان تكون "الحقيقة" هي "الوثيقة" التي لا تضيع ولا تنسى ، وقد رأت هيئة التحرير ان تتوجه الى اصحاب هذه الفعاليات انفسهم ، من كل مذهب فني او فكري ، لأن يقولوا كلمتهم الوثيقة هم انفسهم في مرآة ذاتهم.

سنتناول في كل "وثيقة" مجموعة او فردا مبدعا ، ليقول كلمته، دون حجاب او عتاب ، وسيكون دورنا الاصغاء ، كل الاصغاء.

اننا ندعو كل الفعاليات الثقافية للتعاون مع محرر هذه الوثائق ، ليستطيع بدوره ان يرفع صوتها ... للحقيقة والتاريخ .

Digitized by Birzeit University Library

* فرقة الشموع *

- اعداد / جميل السلحوت

تأسست هذه الفرقة في شهر تشرين اول ١٩٧٥ بمبادرة عدد من الطلبة الجامعيين ، وسبب مبادرتهم هذه كما يقولون هو حضورهم عرضا لاحدى المسرحيات ، فلم تعجبهم المسرحية من النواحي الايديولوجية:

ومؤسسو هذه الفرقة هم:

١) نبيل ابو شريف.
٢) يونس ابو حمدية.
٣) بسمان ابو رميلة.
٤) محمد علي ابو رميلة.
٥) ماجد ابو رميلة.

وفي ٢٤ نيسان ١٩٧٦ بدأوا بتقديم مسرحية "الطريق من وين" تأليف يونس ابو حمدية واخراج حمدي الطويل ، ديكور خميس عنتر ومكياج وهبه وهبه. وقد لاقت هذه المسرحية نجاحا كبيرا اثناء عروضها في مختلفة مدن الضفة الغربية وموضوعها ، عن التمسك بالارض وعدم بيعها ورفض التعويض في حالة مصادرتها.

وبعدها قدمت الفرقة مسرحية "والله يا زمن" تأليف جمال عبده واخراج حمدي الطويل وهي مسرحية اجتماعية كوميدية تعالج قضايا النصب والاحتيال.

وبعد هذين العملين توقفت الفرقة عن العمل بعد ان تدربت على الفصل الاول من مسرحية "العادلون" لالبير كامي . وذلك لسببين الاول تدخل السلطات لمنعهم والثاني ذاتي يتمثل في :

١) عدم التنوع
٢) نقص العنصر النسائي.
٣) التحاق بعض اعضائها بالجامعات للدراسة .

وكان مقر الفرقة في جمعية الشبان المسلمين بالقدس ، وتميزت باهتمامها للاطفال حيث كانوا ينوون تأسيس مسرح للاطفال.

فرقة الكشكول المسرحية

تأسست هذه الفرقة عام ١٩٧٣ من :

١. سمعان خوري.
٢. هاكوب كبلنيان.
٣. هدى سلمان.
٤. ماجد قريطة.
٥. نديم قدسي

وقد خرج هؤلاء المؤسسون من نادي الشبيبة في جمعية الشبان المسيحية في القدس لهذا الغرض حيث فضلوا الاستقلالية في العمل المسرحي.

وفي نفس العام ١٩٧٣ قدمت الفرقة مسرحية "خروف ونص ونص خروف" في خمسة عروض في قاعة مدرسة المطران بالقدس وهي اعداد جماعي واخراج هاكوب كبلنيان . وعالجت المسرحية قضية التسكع في القاهي وعدم استغلال الوقت .

وبعدها قدموا مسرحية صامتة تعالج قضية الفردية في المجتمع واهمية التعاون كبديل لها.

وتوقفت الفرقة بعد ذلك لنقص الامكانيات المادية وعدم التفرغ.

فرقة الدلال الشعبي

تأسست في شباط ١٩٧٩ من عدد من الشبان الذين كانوا مع فرق مسرحية وانسحبوا منها لتأسيس هذه الفرقة وهم:

١. زياد مزعرو ٢. موسى الصباح ٣. عز الدين الشرباتي ٤. اسامة ابو سنينة ٥. هاشم دعنا.

وقدمت هذه الفرقة مسرحية "الفجر البائس" تاليف واخراج موسى الصباح وتعالج موضوعة "الانتماء للارض والاستيطان ومشاكل العمال

Digitized by Birzeit University Library

العرب في المؤسسات الاسرائيلية . كما عملت مهرجانا في قاعة سينما الحمراء قدمت فيه مجموعة اسكتشات مسرحية منها "مطلوب ام ليوم واحد" و"الارض" و"الشهيد" .ثم توقفت الفرقة لعدة اسباب اهمها:

١. سجن عدد من اعضائها.
٢. عدم التفرغ.
٣. نقص الامكانيات المادية.
٤. الخلافات بين الاعضاء.

فرقة المواكب

تأسست في مدينة اريحا عام ١٩٧٥ لتكون الفرقة المسرحية الوحيدة في المدينة ، والمؤسسون هم:

١. ماجد الدجاني ٢. سعيد عميرة ٣. محمد الفتياني ٤. خليل النمري ٥. عمر الجلاد ٦. شعبان عبد الرسول ٧. عدنان ابو زايد ٨. يعقوب الشاعر ٩. سعود عبد الرحيم.

قدمت هذه الفرقة مسرحية "المارقون" تأليف ماجد الدجاني ، اخراج وديكور خليل النمري . وتعالج قضية انحراف الشباب في ظل الاحتلال كالهروب من المدارس وارتياد المقاهي ومصاحبة بائعات الهوي وتحث الاهالي على توجيه ابنائهم للمطالعة في المكتبات وارتياد النوادي الرياضية والثقافية.

كما شاركت الفرقة مع فرقة القدس للفنون المسرحية في مسرحية "انتخبوا عبد الباسط" وهي مسرحية تتحدث عن الدعاية الانتخابية للبلديات عام ١٩٧٦ وتطالب الجمهور بانتخاب الرجل المناسب.

وبعدها حلت الفرقة لعدة اسباب اهمها عدم وجود مقر ، وعدم وجود قاعات عرض في اريحا اضافة للنقص في الامكانيات المادية.

فرقة المسرح العربي

تأسست في القدس اواخر العام ١٩٧٣ ومؤسسوها هم:

١. عبد العزيز الرجبي ٢. خالد المصري ٣. نبيل اشتية ٤. سمير ابو عصب ٥. راغب دعنا ٦. ناريمان عواد ٧. علية سلوم ٨. زهير الطويل.

وبعد تأسيسها بفترة قصيرة انضمت لجمعية الشبان المسلمين بالقدس وغيرت اسمها الى "فرقة المسرح الاسلامي" . وقد قدمت عدة مسرحيات هي:

١) الانسان والظل . قدمت في حزيران ١٩٧٤ وهي من تأليف الدكتور مصطفى محمود وهي مسرحية فلسطينية تقارن بين العقيدة والمادة.

٢) المكوك: عرضت في بيت لحم عام ١٩٧٥ وهي مسرحية كوميدية للاطفال تتكلم عن الوضع السياسي انذاك وخطوات هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكية الاسبق في الشرق الاوسط.

٣) الحياة لنا"تأليف ثروت اباظة وهي مسرحية طبقية تقول بان الانسان هو الذي يستطيع ان يتحكم في مصيره ورفضت مشروع الون والادارة المدنية . قدمت في العام ١٩٧٦.

٤) الغرباء لا يشربون القهوة: قدمت عام ١٩٧٨ من تأليف محمود دياب عالجت قضية مصادرة الاراضي وهجرة الشباب كما طرحت حقوق المرأة. وقدمت عروضها في مهرجان اسبوع فلسطين في شفا عمرو وام الفحم وكابول بعد عرضها الاول في القدس.

وفي كابول وبعد اتمام العرض اعتقل كافة اعضائها وحكم على بعض الممثلين بغرامات مالية ومنعت من الاستمرار في العمل.

كما قدمت الفرقة عدة اسكتشات مسرحية منها :"لنا عودة" و"الحب الكبير" و"بطل من

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين" الذي عرض في مهرجان عام الطفل الدولي سنة ١٩٧٩ بالتعاون مع الاتحاد النسائي وقد نال درع الفائز الاول وهو مأخوذ من كتاب الولد الفلسطيني لمحمود شقير عن استشهاد الطفل علي عفانة من ابوديس عام ١٩٧٦.

وتميزت هذه الفرقة بانها كانت تأخذ النصوص المسرحية وتجري لها اعدادا خاصا وتسخرها لمعالجة الوضع الراهن في الاراضي المحتلة ، كما تميزت بجهودها الخاص.

ملاحظة: نشكر الفنان حيان يعقوب الذي زودنا بهذه المعلومات القيمة عن هذه الفرق.

مسرح نقابة عمال الطراشة والدهان

كانت بداية المسرح في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ العدوانية مباشرة حيث ظهرت عدةمحاولات منها تاسيس فرقة مسرحية لنقابة عمال الطراشة والدهان في القدس وكان اعضاء الفرقة مكونا من : مصطفى الكرد ، زكريا شاهين ، عدنان العويوي، خالد ابو خالد ، وزكي درويش حيث قدموا الاعمال التالية.

* مسرحية "هزيمة الشيطان" تاليف زكريا شاهين. اخراج مصطفى الكرد وزكريا شاهين.

مثلها :خالد ابو خالد ، ايوب حجازي، جميل عيد ، مصطفى الكرد ، زكريا شاهين واخرون.

وقد قدمت هذه المسرحية في اواخر عام ١٩٦٧ وكان موضوعها ان الشيطان شيء من الوهم وكل المجرمين على اختلاف جرائمهم يتهمون الشيطان بالمسؤولية عن جرائمهم.

* مسرحية "الطريد" تاليف زكريا شاهين واخراج مصطفى الكرد وزكريا شاهين.

قدمت في عام ١٩٦٨ وموضوعها عن شخص لفظه المجتمع وارتكب جريمة فسجن وبعد خروجه من السجن حاول ان يعود الى حياته بشرف لكنه لم يستطع.

مثلها: جواد هاوية ، ايوب حجازي ، مصطفى الكرد وزكريا شاهين.

وبعد ذلك اغلقت النقابة بضغط من السلطات لوجود الهستدروت فأسس الشباب نادي القدس الرياضي الذي كان مصطفى الكرد وزكريا شاهين لجنته الفنية فاستمرا بتقديم الاغنية السياسية والدبكات الشعبية فقدم مصطفى الكرد والاغاني التالية:

الامل / الارض / واجب/ الوابور / البحارة

ملاحظة: نشكر الفنان مصطفى الكرد الذي زودنا بهذه المعلومات.

Digitized by Birzeit University Library

* الايقاع الشعري *

عبد الحميد طقش

الشيخ نزار رغم بعض تحفظي عليه ، فاني منه اقتبس ، وبه استهل: فالشعر الفجري المجنون يسافر في كل الدنيا.. فاستعين ببيت لحم ومستشفاها للحصول عل بطاقة تتيح لي ان الاحقه في كل الدنيا.. مجنونا ببطاقة.

ومن قصيدتي (لا بد من صنعا) في ديواني الوحيد المطبوع وليس المصنوع رغم اني غدوت (اختيارا) وما أسأت اختيارا ، فقد شبنا وما عبنا ، قلت: عرفت في جديلتيك حبل مشنقة. وقد حجزت تذكرة. كلاهما شعر بالفتح وبالكسر ، وكلاهما - اي كلا حالي الشعر - المنثور مجنونا يدفعني الى الجنون ، والمنظوم مجدولا مضفرا يسوقني الى المشنقة مختارا ، كلا حالي الشعر له جماله ، كذلك حالا الادب : النثر الفني والشعر كل له روعته وجلالته . فلا الافتتان في تضفير الشعر هو وحده سبب الافتتان به ولا اطلاقه امواجا وارساله افواجا هو السر الاخفى والسبب الاوفى لهذا الجنون حتى ولا في معرض المجون.

لعل في هذا الاستهلال بهذا اللون من الوان المقال ما ينفي عن البحث الجاد صرامته ويحفظ للنثر بين جمال الفنون وفنون الجمال كرامته. فبعض النثر لدى اربابه لا ينزل للشعر عن مكانته ، وفي القرآن الكريم من جليل البلاغة والبيان ما لا يختلف عليه اثنان ولا ينتطح فيه كبشان.

لا يدفعني لهذا الحكم تحيز ديني بقدر ما يسوقني اليه تذوق يقيني ورغم ما يزخر به القرآن الكريم من صنوف البيان المعجز الا انه رفض ان يصنف مع الشعر فيقول:"وما علمناه الشعر وما ينبغي له" وان كانت بعض صنوف النثر الفني سيما المقال الادبي تقترب كثيرا من الشعر في كثير من خصائصه ، فلا بد ان يبقى عنصر الموسيقى اخص بالشعر وان يبقى للنثر الفني موسيقاه الخاصة.

وانهم وان تحدثوا كثيرا هذه الايام عن موسيقى النثر ، وان قالوا قديما ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى ، وان كان هذا التعريف قد تجاوزته العصور ، فغدا الكلام عن موسيقا النثر امرا قد اخذ ابعادا واصبح له تعاريفه التي لا يخلو منها الشعر في ميدان ما يسمى بالموسيقى

Digitized by Birzeit University Library

الداخلية حينا في الشعر ، وهذه ان استطاع ناقد بصير موهوب خبير ان يشير الى بعضها فيما يعرف لدى بعض العالمين كالجرجاني فيفطنوا الى اسرار بعض خصائص الحروف من مد ومن شد قد لا يفطن اليه الكثيرون ، فنحن نجد الجارم مثلا يستطيع او يلهم من هذا القبيل ما يجعل بيتا تسهم وتسعف خصائص بعض حروفه في التصوير والتعبير القادر على التأثير . فهذا البيت يريد تصوير الطول الزمني فيصنع المد والشد درجة من الموسيقى الداخلية تعجز عنها بعض الصور والالفاظ الموجية ، فنحن نعجز عن تلاوته بغير هذا الطول في قوله:

وفي اي اطواء القرون تنقلت بمصباحك الدنيا يشب ويسطع ان بيتا كهذا يتعذر علينا تلاوته الا ببطء واطالة .. ثم هنالك الموسيقا الخفية التي يشترك فيها النثر مع الشعر وسر عظمتها في خفائها ، فليست عظمة الموسيقى بضجيج الجاز والجرك.

ولا تكون زينة الوجه بالالوان الفاقعة الصارخة المسرفة ، بل في كونها محكمة الى حد الاخفاء ، وكأن صاحبتها لم تتخذ زينة.

الا نقول "كحل رباني" ، فحيث تكون الزينة قادرة بسبب سر عظمتها ان تجعلنا نعيش التجربة التي سيطرت على الشعر ، او على الاقل تسهم في ذلك اسهاما كبيرا.

وما سميت هذه الموسيقا خفية الا لان فيها صنعة محكمة الى حد الخفاء.

لكن الشعر تبقى له خصوصيته في ايقاع يعتمد على درجة ونظام في توزيع الحركات والسكنات في نظام ونسق من التوزيع الذي يستلزم شيئا خاصا من النبر الذي يظهر عند تلاوة الشعر ويسود الجود عند قراءته في صمت.

ان كان الاقدمون قد عرفوا الشعر بانه الكلام الموزون المقفى ثم تجاوزت الاجيال هذا التعريف فكان للشعر من الخصائص والمزايا الكثيرة وشاركه النثر الفني في الكثير فقد بقى الفصل في نسق الحركات والسكنات.

ومر هذا بمراحل ، نستطيع ان نشير اليها فنقول : المرحلة التي يمثلها شعرنا مدى القرون ، والتي احصى الخليل ايقاعها واستمر الشعر بعده على نهجه ، ووحدتها البحر ، ثم مرحلة نازك في كتابها المكرس لعروض جديد لشعر عرف مخاضه بعد هزة ٤٨ ، كما كانت هذه الهزة من ضمن العوامل التي ادت اليه.

وكان في كتابها من القيد ما لا يقل عما فيه من الاطلاق (قضايا الشعر المعاصر) ثم كانت مرحلة جعلت وحدتها التفعيلة وهذه ايسر من عروض نازك. وعليها يسير معظم الجيدين من شعرائنا ، ثم انتشر الكثير مما لا يلتزم ايقاعا.

ثم لا ادري ، لعل الايقاع ورتابته يتأتى من المقطع الذي هو جزء من التفعيلة كالسبب والوتد والفاصلة ، وهذا يحتاج الى تفصيل في جهد متأن قد يتاح لي او لغيري.

ولعل ايقاع العصر الاول ، الذي له صلة بحركة الابل من وحيدها ورسيمها وزميلها وحركة الخيل من هيديي وخيزلني وخبب (وهذا اسم لبحر اضافة الاخفش تلميذ الخليل) ومثاله"انا اعطيناك الكوثر" ، ولعل حكاية الخليل وسوق الصفارين كانت قادرة على الوصول به الى ايقاع جديد او الوان من الايقاع ، لكن همه كان الرد على الشعوبية ، لذا كان مضطرا لاستقراء شعر الرب ، فوصل الى ما وصل اليه ، بعد ان عايش اهل الموسيقى ، وبعضهم يجعل له صلة باخوان الصفاء ، الذين تركوا من رسائلهم المشهورة ، رسالة خاصة بالموسيقى.

هذا ولا يكون التقدم بالضرورة في اعدام القديم بدعوى الحداثة والعصرنة والا كنا اذاء شجرة موات ، او جدول سراب ، او شبح المقاتي ، بينما نريد شجرة حية ، اصلها ثابت وفرعها في السماء ، يمتد اصلها في رسوخ ، في ارض ما هو ثابت ايجابي من قديمنا ، وتنتشر فروعها لتعب من نسمات العصر.

Digitized by Birzeit University Library

ولعل ظن الظانين ان شعر اليوم هروب من قيود العروض واوزانه وقوافيه خطأ دفعهم اليه هذا الفيض الذي وجد في صحف يومية وغير متخصصة ويشرف على زوايا الشعر فيها احيانا بعض من لا تحس اذنهم الايقاع ، ويحسب بعضهم ان الشعر الحديث هو في التخلص من القافية وحسب ، اما الايقاع فلعل منهم من اخذه على المحمل العام ، كما نتحدث عن ايقاع العصر وايقاع الحياة بعيدين عن المفهوم الموسيقى الواقعي ، الذي لا بد فيه من اذن تحس ولا يكتفي بالعين والقلم وحسب.

ولا يصلح في الرد على هذا القول من يتحدث عن الموسيقى الراقية ، التي تصل الى القلب دون حاجة الى قرع طبلة الاذن.

اما مسألة:"الاذن تعشق قبل العين احيانا" فمسألة لا ترمي الى ما نطرح من موضوع.

ثم ماذا؟

هل لي ان اتجاوز حدي فاقول :انه كما لا يكفي الايقاع وحده ليصنع شعرا ، كذلك فان غيابه لا يمنع من صياغة ادب رفيع ، يكون لونا من الوان النثر الفني الغني بالوان البلاغة التي تبدع التصوير وتجيد التعبير ، لتتمكن من التأثير.

واكرر الاشارة الى القرآن الكريم والجاحظ والمازني وطه حسين ومي والسيل من المبدعين الخالدين ..

ثم ماذا ايضا؟

ان قال متضجر كيف يفرض علينا عروض ما قبل بضعة عشر قرنا وقد تجاوزنا الايقاع الذي تصنعه حركة سيل الابل والخيل ، اقول: اجعلها عشرين ، فعظمة رد "حسين مروة" على قضية "طه حسين" في الشعر الجاهلي" ومسألة الانقطاع تجعلنا نكاد نعود الى مثل هذا التاريخ في لغتنا وشعرنا ، اقول لهذا المتضجر ان عظمة الشعر في الانجليزية - وهي لغة العصر - ثم هي حديثة جدا ، لا ترجع الى ابعد من "تشوسر" و"حكايات كانتربري" واللاتينيات العظمى التي تبدأ من بضعة قرون وكوميديا دانتي الالهية ، و"شعراء التروبادور" الجوالون ، وتأثرهم بالموشحات في الاندلس ، كل هذا له موسيقى ظاهرة في ما يسمى "النبر" وقد قصدت اللاتينيات ولم اقصد اللاتينية الام (نستطيع مراجعة ترجمة عبد الواحد لؤلؤة لموسوعة المصطلحات النقدية اخر المجلد الثاني) وقد حفظنا في طفولتنا بالانجليزية ، وما زلت احفظ شعرا ينبض بالايقاع.

ان تحدثنا عن ايقاع الحياة وايقاع العصر ، فكما نتحدث مجازا عن نبض الحياة ونبض العصر ، ولكن الامر يختلف عندما نتحدث عن نبض القلب او ايقاع الموسيقى ، فهو هنا حقيقة تلمس ، وواقع يحسب ويقاس ، ولا يحسب مع الغيبيات وان نسبه الاولون الى الجن في وادي عبقر ، وان الذين اعترفنا لهم بمكانتهم في هذا الجديد من الايقاع نهلوا وعلوا من معين لا ينضب ، وملأوا صدورهم من نسائم العصر ودخانه ، واكتملت لهم تجارب ، وظل لشعرهم ايقاع تحفظ اعماق القرون صداه ، وتتجاوب افاق المستقبل مع نداه. ثم ان "النبر" الذي يحدد الايقاع ويبرزه هو اصل واساس ، يجعلنا نعيش الوزن ونتوازن معه ، فنتناغم حتى ولو في القراءة الصامتة ، فيسودنا نوع من الهارموني الذي يتغير من وزن الى وزن.

والاذن المستجيبة والمتجاوبة - وهذه صفة يمكن اكتسابها بالتعامل الطويل مع الايقاع في اناة وحب - هذه الاذن تحس الايقاع وتقطن الى تحوله وانتقاله ، فهل تتصورون هذا الانتقال.. ان بحر الرمل ابو فاعلاتن ست مرات يتحول الى الرجز ابو مستفعلن ست مرات بمجرد اضافة حرف كواو العطف في اوله ، المثل:

اترعوا كأسي من صرف الرحيق

علني من سكرة الوجد افيق (رمل)

Digitized by Birzeit University Library

واترعوا كأسي من صرف الرحيق

لعلني من سكرة الوجد افيق (رجز)

كذلك (الكامل) متفاعلن ٦ مرات ، يتحول الى (الطويل) فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن في كل شطر باضافة (و) فقط الى اول الكامل واليكم المثل:

لو ان ظمآنا اتاك فصب في ال .. كاسات اترعها بغير مزاج

هذا كامل يغدو طويلا باضافة واو العطف.

ثم ان في النثر صنعة تجاوز كل ما في الشعر دون ان تحمل ايقاعا ، فمن قول "ابن العميد" **يطبع الاسجاع بجميل لفظة.. يقرع الاسماع بجليل وعظة**

هذه اقصى درجات الصنعة عند ابن العميد تحتاج الى كل ادوات القياس والقص، دون ان تكتسب الايقاع الخاص فلن تحسب شعرا. اما حكاية قصيدة النثر او فراطة الشعر ومدرسة ومجلة "شعر" وسعيد عقل ، فلا ادري ان كانوا يعبثون ، وقديمة هي مقولة "الفن لعب" . ولكن حتى اللعب فقد اصر على الايقاع وتخلى به الى درجة صار الايقاع يراد لذاته ، دون ان يحرص على حمل معان.

ثم هل اشتط اذا زعمت ان الايقاع لعله سبق اللغة عندما بدأ الانسان يصبح انسانا بالعمل الاجتماعي ،وعندما اشير الى معتقد بعض العوام في تحريم اليمام لانهم يحسون ايقاع هديله على انه "اذكروا ربكم" ولعل العوام في لغات اخرى يحسونه على انه يحمل دلالة اخرى. وفي بعض العودة الى الفاظ في بعض لعب الاطفال وكيف تكتفي بالفاظ ذات ايقاع وحسب ، دون الاهتمام بالمعاني.

حادي بادي سيدي محمد البغدادي

طرقت صملحلح صيادي

خبابر ، بابر ، سن، سفرجن ، يقطع ، موتي ، قرين ، قرندح ، بفه ، زقندح .. لا اجد هنا غير الايقاع.

ثم ان لكل مجتهد نصيب ، حتى في حديقة الايقاع الانف اقول : ليس لباب هذه الحديقة من حاجب ، والدرب اليها لا يعدم الحادي اذا كان المجتهد يريد ايقاعا افضل واقدر على الاسهام مع غيره من عناصر الشعر لابداع فن جميل.

والفوضى لا تصنع فنا ، او معمارا ، او موسيقى ، الفوضى لا تصنع ثورة. الحرية عبء نحمله كي يحملنا ، هذا ايقاع "المتدارك" ، هذا ايقاع :الخبب" ولكن في عصر سفينة"كوزموس".

اقول هذا محاولا الرد على اموات المنادين بالحرية، والناظرين الى الشعر الحر على انه التحرر من كل شيء حتى من الشعر ، بادئين بتحطيم اساسه المتين (الايقاع) ، ليسهل بعد ذلك التحرر من باقي الامس ، لتكون النتيجة التحرر من الشعر باسم حرية الشعر والشعر الحر ، حيث لا تبقى حرية ولا شعر.

هل نورد ايقاعا اخر.. من البسيط.

هذا البسيط ليس قيدا.. انه حريتي.. حريتي في ان اقول ما اشاء.. ابول حيثما اشاء.. احتقر السادات والذهب..

حريتي تجعل مني سيدا لنفسي.. انام واعيش او اموت حيثما اشاء .. وكيفما اشاء.. انا الذي جعلت هذه السماء.. للحبيب ارضا .. وعندما احتقر الذهب.. فمن يكون يا صحاب سيدي؟ منذا الذي يسودني فارض. ما من احد.. يا سيداتي سادتي.. كلا .. سوى حريتي.. لها صلاتي وخضوعي فرضا.. ما من احد.. سوى حبيبتي.. واحدة هي التي تقودني.. تمنحني.. تخدعني.. ترحمني.. تحرمني.. ترفعني .. تحطني.. تعزني.. تذلني.. واحدة حبيبتي.

اقول تستعبدني فارض.. لانها .. حريتي.. يا سيداتي سادتي شكرا لكم.. الى اللقاء.. متفعلن!

Digitized by Birzeit University Library

قصة:

جدار الصبر

مصطفى مرار

قطوفها دانية.

وهي كانت كذلك ، يوم تسلم صك تملكها ، اقطعها ، له ، لص متمرس ، كان منح نفسه لقب "القيم على املاك العدو" . و "العدو" هو كل من اغتصبت ارضه ، واجلي عن وطنه.

"الخواجا بنيامين" يقضي نهاره ، يتحسس ثمارها ، ويتلمظ . حتى اذا غلبته النفس الامارة ب .. القطف ، فانه يصفع تلك النفس ، فتأمر الجسد الناحل ، فينثني مبتعدا عن الثمار الذهبية. ثم ينحني ، ويلتقط ثمره ، مما القت به الريح "تحت امه".

يبتسم للثمرة الذابلة ، يدغدغها ، وهو يقول.. لنفسه ، مبررا لها شح .. نفسه:

"هذا برتقال ، والذي يتدل على شجرة برتقال. وكما يقول عمالنا البدو :"كله عند العرب قطين".. والثمر المليح ينباع ، وهذا ما ينباع !"

ويمتد موسم النضج والقطف اربعة اشهر ، واكثر ، وينظر "الخواجا بنيامين" بعينيه ، ويتقطع قلبه ، حين بعض العمال البيض الافندية من بني جلدته ، يشلغ الاغصان ، ليجعلها تركع عند قدميه ، فيكون اسهل عليه مرط ثمارها. واذا اراد هذا الافندي الابيض ان يأكل ، فانه يفغم فمه من الحبة ، ثم يلقي بها اشلاء! فلا يجد "بنيامين" من يرشق في وجهه سم الغيظ غير ذلك العامل الغزي ، الذي ربما كان حرصه على سلامة الثمر ، وجماله والشجر ، اشد من حرص "بنيامين" نفسه ، فالغزي يتشبث بمكان عمله ، الى حين ، ولا يريد الاحتكاك بذلك "النمرود الابيض" لما يعلمه من استعداده ، وزمرته ، للتحرش ، ولايقاع الاذى باي عربي ، كلما سنحت لهم الفرصة ، حتى انهم ليفتعلون "الفرص" للتنفيس عن حقد ، ارضعوه اطفالا . وما لهم لا يفعلون ، والفرص في عصر الحجارة لا يحدها زمان ولا مكان!

ويريد النمرود الابيض ، الذي ارسل للعمل في البيارات بحكم "قانون البطالة" ان يثبت بان هذا "العمل الاسود" لا يلائمه ، وانه من اختصاص عمال "الشطحيم(١)"دون غيرهم . وان من حقه ، وهو ابن السفاحة الذي خدم في الجيش "الذي لا يقهر" وقتل ، بالرصاص ، اطفال العرب ونساءهم ، وهدم بالمدافع ، بيوتهم واكواخهم ، وعقر ، بالجرافات ، اشجارهم . وهو ، بالامس فقط ، قد عاد من الخدمة في "الشطحيم" بعد ان ادى واجبه ، فحطم ، بالهراوات ايدي من بقي من صغارهم . وخنق ، بالغاز ، كبارهم. وداس

(١) المناطق. (ويريدون : المناطق المحتلة)

Digitized by Birzeit University Library

على لحى شيوخهم ، وجز ضفائر صبایاهم وامهاتهم.

ان من "حق" هذا الجندي المسرح ان يكون أمرا وسيدا ، لا يمد يده لتناول قشة . بل يقضي نهاره على شاطيء البحر ، ويسهر ليله في الملاهي، فهو ، هو الضمان الوحيد الباقي للحفاظ على ما تحقق من "الحلم القومي" ومن ثم المضي في اتمام ما بدأه "الاباء ، البناة الاولون".

وقبل هذا وذاك ، فان "الغزي" حين هو يتعامل مع اشجار البيارة واثمارها ، فانه يتمثل صورة صاحبها "ابو ابراهيم" الذي انتزعت منه، وانتزع منها ولما يطعم بواكير ثمارها.

وهي ، البيارة ، ما زالت على مدى عشرين عاما ، تؤتي اكلها ذهبا وعسلا. بينما اليد التي حرثت ، وزرعت ، وتعهدت ، ترقد هامدة الى جوار الجسد المسجى فوق الحصير ، في كوخ متهدم ، عند اطراف المخيم . وليس ما يشير الى وجود الحياة في الجسد الهامد ، سوى عينين جاحظتين .

بعد صلاة الفجر ، وحين العامل الغزي "حميدي" يغادر كوخه ، نادته "ام ابراهيم" من فوق الجدار الذي يفصل بين الكوخين:

- حميدي! حميدي ، يا ولدي!!

- لبيك ، يا ام ابراهيم ! خير ان شاءالله؟!

توقف "حميدي" وكر عائدا.. لم ينتظر حتى تفتح له "ام ابراهيم" فهو دفع الباب ، وهتف في قلق:

- خير ان شاءالله! كيف حال ابي ابراهيم؟!

- هو بخير يا ولدي. تفضل.. ادخل. انه يدعوك اليه ، لن يؤخرك كثيرا.

اقترب "حميدي" من فراش الرجل الذي كان يوما بطل القفز على النبوت ، وسيد من ضرب "الكورة" ، والذي كان يقعر ، في اليوم الواحد ، خمسين "جورة(١)".

ركع الى جوار الفراش ، واحتضن اليد الهامدة:

- لبيك ، يا ابا ابراهيم . تفضل ، ومرني بما تريد.

- معذرة ، يا ولدي.. لا اريد ان اطيل عليك ، حميدي ، يا ولدي.. اوصيك ، بالبيارة ، خيرا. والى ان اعود اليها ، ولا بد يوما ان اعود .. فانني اتمنى عليك ان تأتيني بحبتين من ثمارها كل يوم ، حبة من كل شجرة ، الى ان ينتهي الموسم، فاكون قد طعمت كل ثمارها ، انا وهذه المراة الصابرة.. لا تبك ، يا ولدي.. لا تبك يا حميدي !! الدموع تخيفني .. انها سلاح العاجز.. بل انها ليست سلاحا على الاطلاق . ولسنا بعاجزين . انظر! انظر!! انني، انا ..انا لا ابكي!"

وادار الرجل القوي وجهه الى الحائط..

قبل "حميدي" اليد الميتة ، وسجاها الى جوار الجسد الهامد.

وقبل ان يبلغ الباب ، بلغه صوت ابي ابراهيم واضحا ، واثقا ، قويا.. ولعله كان مدويا ، فقد خيل الى "حميدي" ان صدى ذلك الصوت يطبق عليه ، بل يخرج عليه من كل الازقة ، فيحمله الى هناك، الى البيارة:

" حميدي ، يا ولدي! ابدأ بالشجرات عند جدار الصبر(١) ، تلك البقعة التي كانت مصلاي ومرقدي ، يوم كانت الارض مخضرة بالمقاتي.. لا تبطيء في العودة!"

الخواجا بنيامين ينفجر في وجه العامل الغزي ، كلما لمس تمردا من التمرود الابيض ، الجندي المسرح:

- خميدي! انت خمور(٢) . لماذا لم تلقن ذلك الشاب الاشقر اصول الشغل؟

ويتساءل.. "حميدي":

- ولكن ، يا خواجا "بنيامين" .. هذا جندي.

(١) الحوض الذي يملأ بماء الري ، حول شجرة البرتقال.

(١) الصبير

(٢) حمار

Digitized by Birzeit University Library

ومن انا حتى اصدر الاوامر الى الجنود؟

- انت "معلم قطيف".

- اخش ان قلت له :"اقطع". ان يقطع رقبتي!

- ولماذا؟

- وهل يفعل الجنود غير ذلك؟! اليوم يا "معلمي" كانت يدي تطبق على حبة برتقال صغيرة ، فاوقفني ، وصرخ:"وجهك الى الحائط! ماذا تخبيء في يدك؟!" وفتحت يدي ،فسقطت الثمرة.. قد خالها الجندي الهمام حجرا!

هز بنيامين رأسه:

- اسكت عزاتي ! انا لازم بقرا جريدة!

وسكت "العزاتي" حميدي. وتوجه الى الشجرات عند "جدار الصبر" تلك البقعة التي كانت ، قبل زراعتها باشجار البرتقال ، مصلى ابي ابراهيم ، ومرقده ، يوم كانت الارض مخضرة بالمقاتي.

وقف امام البقعة المباركة مشدوها حائرا ، الاشجار ، كلها ، مثقلة بالثمار الذهبية. وكل برتقالة تغار من اختها. وكلها تدعوه ان يقطفها ، ويحملها الى المخيم ، الى جارة ابي ابراهيم.

و "حميدي" يحب البيارة كلها ، ولا يطيق ان تزعل منه واحدة من اشجارها ، فهو اخترق البقعة المباركة. حتى اذا توسطها ، اغمض عينيه، وراح يدور بين الاشجار على غير "هدى". ثم مد يده فقطف حبة عن يمينه ، واخرى عن شماله. وفتح عينيه. وعرف الشجرتين ، فجعل لكل منهما علامة على جذعها. قال وكأنه يخاطب كافة الاشجار:

"في المرة القادمة ، لن تكون قرعة"

واسكن الحبتين جيبه الكبير ، بلطف وحنان ، كي يسلمهما الى صاحبهما ، دون خدوش او رضوض.

وفي عودته الى التخشيبة، كان الخواجا ما زال ينظر في الجريدة. واذ احس اقتراب "حميدي" ناداه:

- هالو "عزاتي"!

- نعم ، يا معلم.

- تعال بشوف .. تعال اقرأ!

هرول العزاتي ل "يشوف" لكنه توقف قبل ان يبلغ مجلس الخواجا ، فقد ذكر انه لا يعرف لغة المعلم.. فبادره هذا:

- اقترب .. انظر!

انحنى "حميدي":

- نعم.

- رفع الخواجا رأسه ، ونظر في وجه "حميدي" بعيني حالت زرقتهما الى لون الرماد:

- عمى ، يعمي قلبك ! اقرأ .. انت مش بشوف؟!

- يا معلمي ، انا ما بعرف عبراني.

نفخ الخواجا في الهواء.. وقال ساخرا:

- يا سلام ! عشرون عاما ، نعلمكم ، ونشغلكم ، ونطعمكم .. وما بتعرفوا عبراني؟! صحيح ، زي ما بقولوا:"عربيم ، اين سيخل(١)"

وقف حميدي لحظة يتفجر،

كانت يده ما زالت تقبض على المقص الذي قطف به الحبتين..

ضغطت عليه.. عصرته..

كان الخواجا قد عاد الى صحيفته،

رفع حميدي مقصه الى ما فوق رأسه.. وقبل ان يهوي به على عنق الرجل ، ذكر ابا ابراهيم ، الذي ينتظر الثمرتين الذهبيتين..

اعاد المقص الى حزامه ، ومضى نحو التخشيبة.

الخواجا يطوي الصحيفة ، وهو ذا يتابع تحرك حميدي حين هو يتجه الى التخشيبة ،كان طرف معطفه متهدلا ، يشده ثقل البرتقالتين ، فصرخ الخواجا:

- عزاتي ! ما هذا الذي يثقل جيبك؟

توقف "حميدي" ولم يستدر ،وقال في تحد:

- هذا برتقال.. احسن حبتين ، عن احسن

(١) عرب بلا عقل.

Digitized by Birzeit University Library

شجرتين في البيارة!

- انت حرامي!

صرخ الخواجا.. فانثنى .. حميدي .. وخطا نحوه خطوتين.. لكنه ، مرة اخرى ، تذكر ابا ابراهيم ، فتوقف ، وتساءل من بين اسنانه:

- من فينا الحرامي ، يا اولاد الحرام؟! ملعون ابوكم ، على ابو شغلكم ، على ابو اللي كان سببكم.. خذ!

والقى اليه بالمقص ، وحقيبة القطف ، ومفتاح التخشيبة. وهتف وهو يخرج الحبتين من جيبه ، ويرفعهما في وجه بنيامين:

- اما هذه ، فلا! وطق وافقع.. ان صاحبها احق منك بها.

واذ بلغ "حميدي" المدخل الوحيد للمخيم ، فان الدنيا لم تكن تسعه من الفرح ، لم يصدق انه اجتاز "محسوم ايرز"(١) لكنه لم يكد يخطو داخل الزقاق المؤدي الى كوخه، حتى توقف ، وكأن عشرة من الجنود يتعلقون بحذائه ، كان هناك عند باب ابي ابراهيم ، جمع من اهالي المخيم.. لم يكن "حميدي" بحاجة الى من ينبئه بالخبر ، مد يده الى جيبه.. الى حيث ترقد البرتقالتان. واندفع ، حتى بلغ الباب ، فاخترق الجمع ، ودخل على ابي ابراهيم..

كانوا قد فرغوا من تجهيزه ، وينتظرون بقية الاهل والجيران..

انحنى على الجثمان المسافر ، دس يده داخل الكفن ، ووضع في الكف الدافئة احدى الحبتين ، واعاد الكفن الى حاله. ثم رفع رأسه الى ام ابراهيم ، ومد اليها يده بالحبة الثانية ، وهو يقول::"وهذه لك ، يا ام ابراهيم.." فاختطفها منها احد احفادها.. ابتسم له "حميدي" وقال: "هي لك ، يا ولدي . والبيارة ان شاءالله . . انها من بيارتكم .. وهي احسن الثمار.. والله، لكأني بجدك هذا ، يفضل برتقالته ، التي في يده ، على كل ثمار الجنة".

(١) حاجز التفتيش المقام على ابواب قطاع غزة.

Digitized by Birzeit University Library

قصـــة

ابو درويش .. يقتحم مقهى ابي العز

- وليام يعقوب فوسكرجيان -

يتطلع يمنة ويسرة والدخان الاسود يتصاعد من كل جسده..
العرق الساخن يملأ صدره..

رئتيه..
يديه
قدميه..
ثيابه البالية..
حذائه المبل بالماء الاسود والطين..
يضغط ويضغط اكثر واكثر على شفتيه وهو يغرق العالم
بنظرات عينيه الصخريتين..
بسخط، يلقي بظله تحت الصخرة السوداء تلك، ثم يطلق ساقيه للريح وهو يحمل غضبه اللعين على كتفيه العاريتين..
صوت انفجار هائل يشق طريقه نحو طرقات وازقة وبيوت المخيم المكبل بالموت والجراح والحراب والليل..
طلقات رصاص صاخبة تملأ اذان الصبية والجنود الاخرين.
الطرقات تنتفض ذعرا، والنوافذ تغلق عيونها الصغيرة والكبيرة والليل لا يزال يحمل بندقيته القاتلة امام بوابة الخروج الملعونة تلك..

يتطلع يمنة ويسرة والعرق الصاخب يغطي وجهه..
عنقه..
صدره..
رئتيه..
يديه..
قدميه..
ثيابه البالية..
حذائه المبللة بالماء الاسود والطين..
خطواته تسبق حذائه وعينيه.. الطريق الى المدينة الملتهبة
يقترب ويقترب من قدميه..
حاوية قمامة يتصاعد الدخان الاسود من امعائها المذبوحة
من الوريد الى الوريد بغزارة..
بعض الجنود المدججين باسلحة الموت يغرزون ارجلهم اللعينة
فوق سلح الطوب والتنك ذاك..
هتافات صاخبة تشق طريقها عنوة نحو السماء..
سيارة مملؤة بجنود قساة الوجوه تمر مسرعة والغبار الاسود
يلهث ورائها..
ينعطف يسارا ثم يمينا ثم يسارا ثم يمينا
فيمينا ثم يسارا

Digitized by Birzeit University Library

يجد نفسه امام بيت ابي محمد .. ذلك المأجور اللعين..

بيديه التتريتين العجريتين، يدق ثالثة ورابعة وخامسة وعاشرة جدران مأوى الذئب ذاك..

يطل وجه ابي محمد وسحب سوداء تغطي وجهة ظله .. شفتيه .. وعينيه..

لعنة الله .. انهم هناك.. يقفون هناك.. قرب بوابة الخروج المذبوحة تلك.. حصارهم اللعين ذاك لا ينتهي.. لا ينتهي.. ماذا.. اظل هنا .. اموت هنا.. سحقا وموتا لكم.

سحقا وموتا لكم..

يقتحم ابو درويش مقهم ابي العز.. ذلك الذي يموت نهارا ، ويبعث ليلا..

البابا الغجري الاسود يتصدى له .. ابو درويش يزجره .. يشتمه.. يدفعه.. يعاركه.. بيديه..

وقدميه..

وعينيه..

وفمه..

وصدره..

ورئتيه..

وانفاسه..

وكتفيه..

يلقي بجسده وسط الرجال الذين كانوا متناثرين هنا وهناك وهناك.. يصرخ في وجوههم والغضب الاسود يتدفق من عينيه المجنونتين ..

- ابو نجمة استشهد يا رجال.. ابو نجة استشهد يا رجال..

يقف الجميع مرة واحدة .. يتركون العالم واكواب القهوة واراجيل الكيف واحاديث الليل مرة واحدة..

يصبحون صخورا سوداء مرة واحدة..

انفاسا سوداء مرة واحدة..

بركانا تتريا مرة واحدة..

غضبا اسود مرة واحدة..

يندفعون عبر ذلك الباب المذبوح من الوريد الى الوريد وهم يصرخون ويصرخون وكان العالم يفتح ابوابه المائة للغضب الاتي.. من البعيد..

Digitized by Birzeit University Library

شعر

قلب الشهيد

"لذكرى شهداء الانتفاضة"

- محمد شريم -

خشوعا رفيقي فغض النظر ... امام حجارة خير البشر
ودثر بروحك من تحتها ... وحاك بقولك صمت الحجر
فسلسل حروفا بقدر الشهيد ... لتنساب شعرا كهطل المطر
يبث الحياة بزهر يحف ... بمن حف شعبا بزهر العمر
فباع الحياة بحلو المعاني ... وحسنى الاماني وقصوى الفكر
بحيب الفداء جزيل الفداء ... تفوح المروءة أنى ظهر
فما اثخنته سهام الخشاة ... وما ثبتته حبال الحذر
وما نال منه كبير الخطوب ... فقد هان في ناظريه الكبر
فان الكبير اذا لم تهنه ... كبار النفوس يعاف الصغر
واين كبير كحب الحياة ... وحب الحياة بنفس البشر؟
فاعظم بقلب كقلب الشهيد ... وقد حارب النفس ثم انتصر
فبين الضلوع حوى صدره ... فؤادا توقد مثل الجمر
فسار جريئا كحب الرصاص ... يخط الشجاعة انى عبر
فصال فتيا بروح الشباب ... وجال خفيفا كلمح البصر
ينافح دون ذمار البلاد ... بكف البلاء وعين السهر
ويسقي حقوقا بماء الخلود ... ليزهر غصن الحقوق النضر
ولم يك يحمل غير الحجار ... فليت الحديد بضعف الحجر
فاخرج ريش جناح الصمود ... وخر شهيدا فأبدى العبر
لقد فاح من جانبيه العبير ... عبير الفداء سما وانتشر
فعج الوفاء بطول البلاد ... وسارت تتابع هذا الاثر
تجلجل تبحث عن غايتين : ... فاما الممات واما الظفر
فأجلل وأكرم بدم الشهيد ... وطوبى لارض عليها انهمر
وطوبى لشعب فدته الدماء ... اذا فاح فيه شذاها العطر
هنالك يسطع نجم الحياة ... وتخفت ثم نجوم اخر...

Digitized by Birzeit University Library

مختارات من الشعر المعاصر في الاورغواي

ترجمة د.محمد عبد الله الجعيدي

(كلية الاداب - جامعة مدريد)

شكوى

كلاراسيليا *

انا الامرأة التي رأت
من وراء قضبان نظارتيها
محنة بلدها.
ليس لدي ضوء
لانير الريح
اشعاري زهرة تساقطت اوراقها
في دجنة الظهيرة
وهنت العظام مني
وانا رهينة شوارعها
كراهبة في ديرها
ولكنني ما زلت هكذا
اتجرع الكأس
التي تقيء فيها العفاريت
في انتظار أمل
قد يكون قد تبقى

* * * *

تذكر برحمتك ، يا الهي
ما يصيبنا
انظر هذا الاختناق القاهر
الوشاية في قيعان الاطباق
انظر مخالبها المجللة بالسواد.
لم يعد بوسعنا السير في الدجى
وشدا أغانينا
بأفواه مكتومة..
كل وثيقة رصيف
رمح وقناع
واللحم يصبح في خطر
عندما ينظرون اليه
فماذا يا الهي غير الرضى
غير الرضى بهذا الوعد
اتقبل بركاتك
لأصل ال ظلي بين امواجك المتلاطمة
بكل جوارحي اتوسل اليك من اجلهم
فاللاتي هن امامي
هن نحلات الخطر
يصنعن شهد النصر
اعد الاسرى يا الهي
ال بيوتهم
وامنح جنازة السجون
وعري آثامها.
انقذنا من هذا العار
برحمتك التي تمهل
ولا تهمل.
لا تتركنا فريسة للوحوش

* ولدت الشاعرة كلارا سيلفا وتوفيت في مونتيفيدو (الاورغواي) ١٩٠٥ - ١٩٧٦، من اعمالها: "النيرك المدلهم"، "ذاكرة العدم"، "العائد من المهجر".

Digitized by Birzeit University Library

شعر :

صور من مفكرة الشارع والقلب

موسى حداد

(١)

لا بد ان تلد الحقيقة من مخاضك
لا بد ان يلد النهار من الحجر
دورية التفتيش قابعة امامك
وورائك المطاط يسقط كالمطر
فخذ الحذر...
من كل نافذة تطل على النهار..
مد النهار يدا اليك واتقذك
فخرجت من هذا الخطر.
لا بأس.. دربك شائك
لكنه درب الامل
وعليك تخترق المسافة..
من حدود الانهيار...
الى النهار...
عليك تطويع القدر.
اني اراك...
في كل ميلاد طبيعي... ارادة
اني اراك..
في الفعل.. في معنى انتمائك...
في القناعة
في الحب في لغة التحدي...
في الشهادة.
انهض...
يظل الفعل.. زوبعة
وعاصفة.. وبركان.. ونيران
اطارات... حجارة.
في كل قرية او مخيم
في كل زاوية وحارة
اشعل هنا...
اقفل مداخل جنتك...
اضرب هناك...
الخوف يهرب لو رآك
سلمت يداك..
سلمت يداك.

(٢)

لا بد ان تلد الحقيقة من مخاضك
لا بد ان يلد النهار من الغضب
تعب.. التعب
وتمرغت في الوحل اقطاب الكذب
الشمس تشرق من جراحك
من عذابك...
من ارادتك القوية...
فانتصب...
الشمس قوة ساعديك...
وما لديك
الشمس واضحة... حقيقة
وخطاك ثابتة...
وواثقة .. عميقة.
والدرب واضحة معالمه امامك
فتعال نخرج للطريق
تعال نحتضن الحقيقة
ثم نمضي للهدف
انت القدير...
لك القرار.. فلا تخف.

(٣)

لا بد ان تلد الحقيقة من مخاضك
لا بد ان يلد النهار من الارادة
عيناك سيدة الزمان
يداك صانعة السعادة
وهواك مزروعا على كل المداخل
في الشوارع.. في المساجد .. في الكنائس
في اطارات تمارس..
حقها في الاشتعال..
هواك معناه الثبات
هواك معناه العبادة
وهواك خاتمة المطاف...
على الطريق الى السيادة.

Digitized by Birzeit University Library

(٤)

بحر تكسر موجه
شطآن اغرقها العذاب
لغة تمزق صمتها..
وخرافة صارت خراب
ورد تلاشى عطره وجماله
شوك تسلل...
بين شمس الحب
والقمر المضيء من الامل
شوك يمارس حقده
شوك تدمره المحبة...
ان اطلت وردة للحب...
من خلف الضباب.

(٥)

عيناك بحر والهوى وطن...
على شفتيه يرتاح الزمان
سيف على عنقي...
ووجهك دائما
ترنيمة تبقى اذا بقي المكان
قيد على شفتي...
دسم حبيبتي احلى قصيدة
يا حبنا...
يا طائرا قد هاجرت احلامه
يا كل احلام المنافي والقواني
والخيول الجامحة.
انا لبسنا الموت...
ثوبا من ذهب
انا شربنا الحب...
كأسا من لهب
هذا زمانك يا غضب
هذا زمانك يا عزيمة
في مسرحيات الحلول
في كل اصناف التخاذل...
والتراجع .. والتواطؤ...
والهزيمة...
كان المثل...
والحضور...
شركاء في نفس...
الجريمة.

Digitized by Birzeit University Library

الموت على الاسفلت

قصيدة جديدة

لـ « عبد الرحمن الأبنودى »

امايا .. وانتى بترحى الرحى
على مفارق ضحى
وحدك ..
وبتعددى على كل حاجه مفقودة
متنسنيش يا امه فى عدودة
عدودة من أقدم خيوط سودة فى توب الحزن
لا تهلى فيها ولا تولولى
وحطى فيها اسم واحد مات
كان صاحبى يا امه .
واسمه ناجى العلى .
ياقبر ناجى العلى وبنك ياقبر
ياقبر معجون بشوك مطلى بصبر
الموت يقرب عليك يرتد خوف
وإذا ما خفش الموت يرتد جبر
ياقبر ناجى العلى يادى الضريح
كان ميتك للأسف وطنى صريح
تحتك فتى ناضر القلب غض
كان قلبه أرض مخيمات الصفيح
الأرض متغربة والحلم ملك
خريطة شبه الوطن محاصرها سلك
واقف وراها شريد عاقد أيديه
حن الوطن ذلك للأرض تلك
غشيم فى حب الوطن طبعا غشيم
يالى تحب الوطن من الصميم
على طريقة العرب فى الحب عيش
ولى نقى متقى لكن لئيم
ناجى العلى فى الأغنية هل على
زى الغزالة البرية
ماسك رسمه ..
كان قلت له عيشها خفايف مص شفايف
قال لى يا شاعر لو خايف
شوف الرسمه ..
والرسمه فيها دمع وضحك وأرض الملك
وابن واقف خلف السلك
قصاد رسمه ..
والرسمه فيها يهود بحاخام والأنكل سام
وعرب لطاف عايشين فى سلام
جوه الرسمه ..
رسم الكفوف زى الصبار
حنضل بمرار صبى قصير واقف محتار
قدام رسمه ..
رسمه لا تعرف تتحادق ولا تتنافق
عيب ناجى انه عاش صادق
عاش للرسمه ..
كان زيبى يائس يأس مميت لكن عفريت
دخل لاعدائه فى البيت
شايل رسمه ..
والرسمه مفيهاش سما وبيوت لكن لها صوت
يا ناجى كان لابد تموت
بره الرسمه ..
وأنا قتلت ناجى العلى لما رسم صورة
يواجه الحزن فيها برايه مكسورة
لما فضحنى ورسمنى صورة طبق الأصل
معرفش يكذب ولا يطلع قليل الأصل
الناس بترسم بريشة وهو ريشته نصل
فضح رموز الرواية وهى على المسرح
قتلته بايدى وأيد غيرى فى آخر الفصل
يابلادى ماتزعجيش نفسك عشان صورة
أهلى لا أهلك ولا أهلك ساعات أهلك
ما تحكيليش عن اللى قتلك مش حاخد لك تارك
ماملكش غير إنى أحسدك خالص على قتلك
قتيل فى غربة بيفرق عن قتيل الدار
ياماشى للنور ومش ماشى على مهلك
واحنا خطاوينا يم الموت تجيب العار
انا الموساد والفساد قاتل كثير قبلك
كمال وغسان واسال ماجد أبوشرار
وحاموت لا شفتك ولا حاعرف فى يوم قبرك
لاحاطط زهرة عليه ولاحازرع الصبار
حاولت قتل الجهل طلع الجهل متعلم واهو قتلك
وحوللـ

Digitized by Birzeit University Library

اطفالك البؤساء قاموا هناك ورا الاسلاك
بيفتحوا بالضوافر فكرة الشباك
مين أول اللى رسمهم فى الصحف إلاك
قلعوا الهدوم القدام وطلعوا بهدومك
أصحى ياناجى العلى قامت القيامة هناك
قامت قيامة ٤٨ غارقة فى طريقها
ذل السنين العاقر الناشفة
اصحى ياناجى العلى
أهى صحيت الضفة يقشعروا الأرض
أصحى جاوب الهزة
سن القلم من جديد وارسم بنات غزة
غزة اللى حضنت ثلوجها وعشقت الحزة
ما مامتش ..طب ما انت مت عرفت تتوفى
ومن الزوايا والأركان خرج الطوفان
الوفات شبان اصعد يادخان
ابعد يا شيطان اجبن ياجبان
رجع الاسم ورجع العنوان
يغلى البركان ويفور ويدور اتهد السور
طلع الانسان
الصدر العارى عليه الوشم خريطة الدم
فلسطين يا أحلى الأوطان
مين قال بعنا .. مين قال ضعنا
يا ٤٨ كدابة وكدابة يا ٥٦ و٦٧
التار له نار طى الكتمان
واليوم ياخليل ياجليل يابيت لحم
الاعلان ياصوت الطفل اللى بيحررنى فى بلدى
بارك ربى فيك ياولدى
يانهر النار الغايرة أوعى تبطل جريان
دراعات الوحش الغاضب اصوات الكروان
راجع فالح مازن مروان
و أخدنا بتارك ياغسان
يا كمال ناصر دمك حاصر اعداءك
مش بس فى لبنان
يا ماجد يا ابو شرار جينا دمك فينا
لسه سامعينك تنادينا
ما عادتش الدمعة مكتومة
صبحت صرخة روح محمومة
تصفع روما

ع الكتف نشيل سرير الفندق ونشيلك
مواويل الثورة مواويلك

تحت قميصك غنوة شهداء من كل مخيم
زاحفة ياماجد تحت الفجر تغنيلك
عطر الانبياء فى مناديلك
أولادك يا ابو شرار بالطوب عدلوا المقلوب
شطبوا كل القدر المكتوب
فتحوا بوابة الفجر
وواجهوا الغدر
وصاحوا يافلسطين
يسقط كل الكدب العربى ..
يسقط كل الاخوة الخايبين ..
نرسم بالدم خريطة للأوطان
اتفلت الجان والمسجون قام ياكل السجان
دارت العجلة والدنيا احتارت
لعبتهم بارت قوتهم خارت وانهارت
والدايرة على الباغى دارت دارت
يادنان الكدب الظلم القهر على الطرقات فارت
ومخيم بات وصبح ميدان الدنيا اتحطت واتشالت
أطفال الأرض المحتلة . اطفال الدنيا المختلة
أطفال السنوات السودا رفضوا الذله
ياكل العرب المعروبة
ياراس العرب المقلوبة
ياجيوش النصر المغلوبة
رجعت أرواحنا المنهوبة
رجعت إرادتنا المسلوبة
بتحارب بالصوت والطوبة
اصحاب الأرض الاصليين
اصحاب النور والليل والتين
بنت فلسطين أكل فلسطين
روح الأمة أزاى لاجئين ؟
على أسفلت الشارع شهداء
على أسفلت الزنازين مساجين
يافجر ارضع من دم الطفل
ياسجن إوسع كسرنا القفل
بدأت حكايتنا ومش راجعين
مش راجعين

عن صحيفة "صوت العرب"

العدد (٩١) ٨/٥/١٩٨٨

Digitized by Birzeit University Library

شعـــر

"ماذا تقول شهرزاد لي
وماذا اقول لشهرزاد.."

- رعد مشتت -

ماذا تقول شهرزاد لي
وماذا اقول لشهرزاد
والكلمات كالالعاب النارية
اهي منارة
هذه الارض التي تحضنينها
فاض الماء على ثوبك
انتبهي لظلك المبلل
انتبهي لصورتك في المرآه
وهذا القوس الذي يحيط برأسك
كل ما اتذكره من الليلة
القمر
اعني انت
عينك احمرت
وماذا تقولين يا شهرزاد

ولماذا تبكين ايتها النائحة
جففي دموعك
قتلوا حسين مروه
فاعتم الزمان
اغتالوا مهدي عامل
فاظلمت اركان الارض
وحين اطلقوا الرصاص علي ناجي العلي
طرنا خرقا في هذا العصر الاسود

اسود دمي
وورمت عيوني
واين الضوء
اشتهيتك وانا راكب القطار
كنت تجلسين في المقاعد الطويلة المتقابلة
لماذا ذلك الاخضر
لماذا هذا الانف النافر
واقراط البرونز المتأرجحة

كنت اراقب اصابعك
لم يعجبني تصفيف شعرك في الامسية
وفي نهاية الليل
كنت اعبده
تشعلين الشموع في اركان البيت
وتوقدين ليلة
صدرها عار
افخاذنا عارية
هذه رغبة تحت البطن
- هل تعلس هيلا
- اعلسك.
- النافذة ازرقت
- هذا الفجر
- انك تلعب

Digitized by Birzeit University Library

كيف سأفتح عيني؟
- كيف ساغمضهما؟

عزيزتي انتبهي للمرآه
انها صورتك
جففي دموعك
لماذا تنوحين
وماذا تقولين يا شهرزاد
".. حفرنا نفقا في سجن الحلة
وآخر في الاورغواي
وثالث في الوجوه الحديدية
للقتلة
واين الضوء..؟"
وجهك واكتافك
ملوحات بالشمس
بماذا جئت من المزرعة؟
- بحضن فواكه
- لنتراهن على الوانها
رمانة ذهبية..
- انكسرها ؟
- العالم هارموني
- تعني الحي السكني
والقنبلة
- اعني شعرك في ذاكرتي
وجذور الاشجار
جلسنا على الصخور امام البحر
قال الاسباني بانه سائق حافلة
اي لغة تتكلم صديقته؟
كانت تكتب
باصابعها
عل الصخور
اتذكر ما قلتيه
.. هذه المحارة التي نبحث عنها في الانسان..
لماذا تنوحين؟

فاعتم الزمان
اغتالوا مهدي عامل
اظلمت كل اركان الارض
وحين اطلقوا الرصاص عل ناجي العلي
تناثرنا خرق
في هذا العصر الاسود
صديقتي انتبهي لظلك
الفندق في "مي فير" ممتلىء بضجيجك
" هذا احمر الشفاه الاخير.."
كان المجنون يغني مع الراديو
ويهبط مبكرا ليلحق الفطور
اخذت دوشا باردا
ونسيت المنشفة
بين فخذي المرأة السمينة
التي تنتظر دورها في الباب
هل يريد السيد شيئا
ان تعبر شفتي الخط الفاصل بين حاجبي شهرزاد
اردت ان اقول
وفي المطعم في "لندن"
القت اميرة بحرانية محاضرة
عن القهوة!
قهوة بالسكر
قهوة وسط
هي التي قالت وسط -
قهوة مرة
ليش ما تفتهمون ؟!!!
ورمت عيوني
حبيبتي انتبهي لظلك
ولماذا تبكين
من "وهران"
من "سيدي الحسين"
الى "فارو"
من الصواريخ عابرة القارات
حتى صناع السيوف في اليمن
كانت اصابعك ترتجف
حين عدنا من البصرة

قتلوا حسين مروه

Digitized by Birzeit University Library

قلت ساقبلها بين الاسنان
نمت لمدة خمس وعشرين دقيقة
وحلمت لقرون
وماذا تقول شهرزاد
".. امريكا ٣٪ من سكان الارض
و ٥٣٪ من ثروة العالم

تماسيحهم الحديدية في البحار
والخلجان
والانهار
وحتى كؤوس الماء التي نشرب .."
لننزل باسناننا
وفؤوسنا اليها
مستشار دفاعهم
كان منزعجا
نحن هنا - نصف قطر الارض يا شهرزاد -
لحماية مصالحنا
and fuck off
اراد ان يقول
لانه حيوان اشقر
ومن نحن؟

حيوانات سود
رمادية
صفر
وخضر
صديقنا جاء مبكرا البارحة
شتمهم جميعا
وعرض "مستعملاته"
سلة خوص من الدرجة الاول
شال هندي
وقبعة من جامايكا
- احتاج العراق..
- هم اجينه لسجينة الخاصرة..
جربي هذا الناظور
لكي ترى اقرب
الوان غزالة بلاستيكية
ينفخها اب
لابنته العرجاء
الجميلة
التي يمسد شعرها وكأنه يمسد جناح طائر
ولماذا تبكين بين الغزالة
ومساء ساخن في "خانقين"
انظر الى حجم هذه الطماطم
كأنها بالون
تم ترزم تم ترزم
تم ترزم تم ترزم
طارت بالونات العيد
حطت بالونات العيد
من اين ابتاعت سيدة القصر
معاطفها
من اضلعنا
من اين اقتطع السيد
لحمته
من اذرعنا
ما هذا القوس على رأسك
وماذا تقول شهرزاد في الصباح
".. اوكرانيا فقدت امن ٤ من مواطنيها
في الحرب
لم يكونوا جنودا
كانوا عرائس
وفلاحين.."
- وقادة الفرق المشؤومة ؟
- انهم في كل العالم
يقتلون العرائس
والفلاحين
- حرب واحدة
- ماذا تعنين؟
- في كل رصيف حرب
بين العين وبين العين حرب
تماسيحم تمخر في البحر
تماسيحم في بلاعيمها

Digitized by Birzeit University Library

لننزل بأسناننا وفؤوسنا اليها
كل ما اتذكره من البارحة
القمر
اعني انت

ما هذا القوس على رأسك
ولماذا تبكين من "سويتو"
الى "القصبة"
من "٥ ميل"
الى "هكني"
من "ابو شاكر"
للبحر

- لننام الم تتعب
- لنغن في هذا العصر الاسود
طارت بالونات العيد
حطت بالونات العيد
من اين ابتاعت سيدة القصر
معاطفها
من اضلعنا
من اين اقتطع السيد
لحمته
من اذرعنا..

لندن آب ١٩٨٧

Digitized by Birzeit University Library

اصداء ثقافية

اصدارات الملتقى الفكري العربي

عن الملتقى الفكري العربي بالقدس صدر العدد الثاني من سلسلة الدراسات المكرسة لشؤون التنمية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد كرس هذا العدد لموضوعة :المياه في فلسطين؛ وتضمن مقالا بعنوان "المياه في الاراضي المحتلة" حيث استعرض باسهاب المعلومات العامة حول مياه الاراضي المحتلة واشتمل على دليل للينابيع المادية. وفي مقالة "اسرائيل ومياه الجنوب اللبناني" تم التطرق الى المطامع الاسرائيلية للسيطرة على المصادر المائية .

واضافة الى موضوعة العدد ، تضمن العدد مقالة بعنوان "مشكلة تسويق المنتجات الزراعية للاراضي المحتلة وتلخيص سريع لتقرير امانة الونكتاد - مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، كرونولوجيا التنمية ، واخبار متفرقة حول الثقافة والفنون في الاراضي المحتلة.

ومن الجدير بالذكر ان الملتقى الفكري العربي كان قد اصدر العديد من نشراته منها "القصة القصيرة في الاراضي المحتلة" وهي تلخيص لندوة عقدت في الملتقى قدم اوراقها الناقد الاستاذ صبحي شحروري والاستاذة حنان عشراوي ، اضافة الى دراسة قام بجمعها وتصنيفها اليكس بولوك وحملت عنوان "الغور الشمالي للضفة الغربية لنهر الاردن - انتاج المحاصيل ، الصادرات ، انظمة الري والثروة الحيوانية".

* * * * *

"الانتفاضة - الدم غلب السيف"

عن الاعلام الموحد ودار بيسان للطباعة والنشر صدر الكتاب الوثائقي "الانتفاضة - الدم غلب السيف" ، والذي اشتمل على مجموعة من الصور الملونة للانتفاضة المعبرة عن عظم الحدث وتأثيراته وانعكاساته المحلية والعربية والعالمية . هذا وكان قد شارك كل من الاساتذة : فيصل فرقطي ، جمال شديد ، اياد عبد الحق، جواد البشيتي ، وتوفيق الصفدي في اعداد هذا الكتاب الوثائقي . حيث كتب جواد البشيتي حول "الانتفاضة الفلسطينية - من عام الامل الى عام البشرى" واستعرض فيصل قرقطي اليوميات والوقائع الميدانية للانتفاضة .وكتب يوسف حسن حول الانتفاضة تحت القيادة الديبلوماسية والسياسية وتحدث جمال شديد حول "العالم ينتصر لفلسطين" بينما كتب اياد عبد الخالق تحت عنوان "الانتفاضة تطور طبيعي للمجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية" واستعرض توفيق وصفي تفاعلات الانتفاضة داخل اسرائيل.

❋ اصدارات الحق ❋

عن مؤسسة القانون من اجل الانسان "الحق" صدر تقرير موجز حمل عنوان"الظاهرية - مركز عقاب" يتحدث حول الاوضاع والظروف الاعتقالية لمعتقلي الانتفاضة ، تلك الظروف التي تتعارض والمواثيق والاعراف الدولية بخصوص معاملة السجناء.

كما وصدر تقرير موجز اخر حمل عنوان "معتقلو الانتفاضة" يستعرض بشكل سريع كافة الاجراءات والاوامر العسكرية الجديدة التي صدرت منذ الانتفاضة ، وبالذات اجراءات الاعتقال الاداري الاخيرة واوضاع وظروف المعتقلات.

واختتمت مؤسسة "الحق" اصداراتها آملة في ان تسهم في الجهود الرامية الى اغلاق هذه المعتقلات.

Digitized by Birzeit University Library

● «الانتفاضة اندلعت لتستمر.. وتستمر لتنتصر» ●

● صدر عن الاعلام الموحد الفلسطيني ـ منظمة التحرير الفلسطينية كتاب «الانتفاضة اندلعت لتستمر.. وتستمر لتنتصر» وشارك في الكتاب جواد البشيتي: «الانتفاضة في مرحلة الاستمرار»، يوسف حسن: «الانتفاضة هي المنظمة والمنظمة هي الانتفاضة» جمال رشيد: «بلوماسية الانتفاضة ـ لا سلام الا السلام الفلسطيني»، احمد عبد الحق: «عنصر التنظيم في الانتفاضة، الانتفاضة تشحن تناقضات المجتمع الاسرائيلي»، خالد عايد: «الانتفاضة، الخلفية والخصائص»، سمير جبور: «الانتفاضة وعوامل التأثير في الرأي العام الاسرائيلي»، محمد الصواف: «آثار مرحلية للانتفاضة» رمضان العصار: «اصداء الانتفاضة عربيا»، عدوان عدوان: «الانتفاضة عززت وضع القضية الفلسطينية دوليا»، باسم برهوم: «الانتفاضة في الصحافة الدولية».

وفي الكتاب ملفات: الاول عن «وثائق الانتفاضة» والثاني «اليوميات والوقائع الميدانية». ويقع الكتاب في ٦٠٨ صفحات من الحجم الكبير.

● رواية «اخطية» في اللغة العبرية ●

● تل ابيب ـ صدرت عن دار النشر «عام عوفيد» الترجمة العبرية لرواية «اخطية» للكاتب اميل حبيبي، رئيس تحرير «الاتحاد»... وترجمة الشاعر والكاتب انطون شماس.

وكان شماس قد ترجم رواية «المتشائل» لاميل حبيبي التي وصفها المؤلف بانها ادق ترجمة لروايته التي ترجمت الى عدة لغات.

● المجلد الاول من مؤلفات تشيخوف ●

● صدر عن دار «رادوغا» ـ موسكو المجلد الاول من المؤلفات المختارة للكاتب الكبير انطون تشيخوف ترجمة د. ابو بكر يوسف. ويتضمن هذا المجلد قصصا قصيرة كتبها تشيخوف في مرحلة مبكرة من مراحل ابداعه (١٨٨٠ ـ ١٨٨٧) كما يتضمن ذكريات الكاتب الكبير مكسيم غوركي عن تشيخوف.

ومن الجدير ذكره ان مؤلفات تشيخوف ستصدر عن الدار نفسها في اربع مجلدات.

بين السنبلة والقنبلة

تحت هذا العنوان ، صدرت مجموعة المقالات والدراسات لادب معين بسيسو اعدها د.عبد العظيم انيس ، بالاضافة الى شهادتين من محمود درويش ، ولحظة قراءة في مسرح معين بسيسو اعدها فاروق عبد القادر بالاضافة الى مجموعة معين بسيسو الشعرية.

العذاب والمنفى في فن القصة الفلسطينية

تحت هذا العنوان صدر في مدريد كتاب الدكتور محمد الجعيدي ، والذي تحدث في القسم الاول منه حول ادب غسان كنفاني القصصي ومواثيقه لمرحلة النضال الوطني ، وكذلك حول مراحل تطور الشخصية الثورية الفلسطينية في قصص غسان كنفاني . واستعرض القسم الثاني بيلوغرافية لفن القصة الفلسطيني الحديث ابداعا ودراسة متخصصة وعامة.

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية ، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاولى وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل ، المهنة ، والعنوان ، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة . علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- المادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- درجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة ، وعلى وجه واحد من الورقة ، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعلنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى : مجلة الكاتب / ص.ب(٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

• قسيمة اشتراك •

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر **مجلة الكاتب .**

قيمة اشتراك واحد لمدة على ان ترسل الى العنوان التالي:

الاسم _____

Name _____

العنوان _____

Adress _____

المدينة _____

City _____

البلد _____

Country _____

قيمة الاشتراك

		سنة	سنتين
للأفراد	سنة اشهر	١٥ دولار	٢٥ دولار
الاشتراك المحلي	١٥ دولار	٢٥ دولار	٤٥ دولار
اوروبا	٢٥ دولار	٤٠ دولار	٧٠ دولار
بلدان اخرى	٣٠ دولار	٥٠ دولار	٩٠ دولار

الاشتراك السنوي

للمؤسسات المحلية	٥٠ دولار
اوروبا	١٠٠ دولار
بلدان اخرى	١٥٠ دولار

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي:

ALI KATEB P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

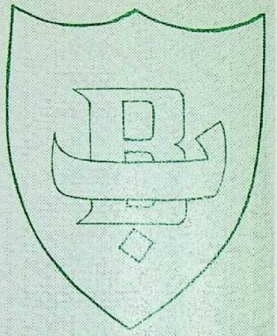

الأمان الكامل هو شعارنا

الوكالة العربية للتأمين

سعيد برانسي وإخوانه

القدس - ٢٠ شارع صلاح الدين - هاتف رقم : ٠٢/٢٨٥١٤١

ص.ب: ١٩٥٥٠ - القدس ٩١١٩٤

الناصرة - مركز البشارة التجاري - قرب العين - هاتف ٠٦٥ - ٥١٣٧٦/٧

Digitized by Birzeit University Library

يوم الطفل العالمي: عيد بأية حال عدت؟

الطفلة هدى سمير مسعود البالغة من العمر تسعة شهور من مخيم جباليا في قطاع غزة بعد ان اقتلع رصاص الاحتلال "المتحضر" عينها اليسرى وكسر ذراعها وساقها قبل يومين فقط من يوم الطفل العالمي - الاول من حزيران . وبقيت عين هدى اليمنى تذرف دموع الالم والعذاب الذي يستصرخ الضمير الانساني والرأي العالمي ان :اعطونا السلام !! لتكبر هدى (وكل اطفال فلسطين) فترى بام عينها الباقية حلمها - حلم شعبها كله الذي سيتحقق لا محالة.

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
98
Editor
As'ad Al-As'ad
P.O BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library